



دار المنظومة  
DAR ALMANDUMAH  
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	تحليل النظم في علم السياسة
المصدر:	مجلة كلية الحقوق للبحوث القانونية والاقتصادية
الناشر:	جامعة الإسكندرية - كلية الحقوق
المؤلف الرئيسي:	محمد، عبدالغفار رشاد
المجلد/العدد:	ع 1
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1992
الصفحات:	49 - 112
رقم MD:	142041
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo, EcoLink
مواضيع:	النظريات السياسية، النظم السياسية، العلوم السياسية، الفكر السياسي، النظم السياسي، تحليل النظم، ايبستون ، ديفيد، القرارات السياسية، السلطة السياسية، التنمية السياسية، دويتش ، كارل، سبيرو ، هربرت، كابن ، مورتن، السياسة الدولية، الفكر السياسي
رابط:	<a href="http://search.mandumah.com/Record/142041">http://search.mandumah.com/Record/142041</a>

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.  
هذه المادة متاحة بناء على الإئتمام الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة.  
يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الإلكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

## تحليل النظم

فد علم السياسة

للدكتور / عبد الغفار رشاد محمد

الطبعة

هدف هذه الدراسة التاء للضوء على تحليل النظم . مضمون هذا التحليل .  
مفاهيمه وافتراضاته . التطورات والمسارات التي تطور خلالها . وكيف وصل إلى  
مرحلة تميزت بإسهامات قدمها ديفيد إيستون وبعض المفكرين الآخرين في علم  
السياسة .

تقدم الدراسة رؤية انتقادية لتحليل النظم . فعلى الرغم من أهمية مساهمات  
إيستون . وغيره من مفكرين ساهموا في هذا الأطار لتحليل النظم . فقد صادفت هذه  
المساهمات محاولات متباينة لتقييمها . وتقدير أهميتها . وأحيانا لاعتراضها  
وانتقادها . وتركز الدراسة على أهم هذه الانتقادات والإعتراضات . وكيف أدت إلى  
نتائج لها أهميتها . سواء من حيث تعديل النماذج الرئيسية . نموذج إيستون أساساً .  
و من خلال ما قادت إليه تلك الانتقادات من محاولات وجهود لبناء نماذج جديدة . أو  
من خلال ما قادت إليه تلك الانتقادات من محاولات وجهود لبناء نماذج جديدة . تقدم  
منها الدراسة محاولة وئيم متثل . لبناء نموذج للتبادل . وللنظام السياسي . مستمد  
أساساً من التحليل الاقتصادي للأسواق .

ولا ينحصر الإهتمام بمحاولات إيستون وحدها . على الرغم من أهميتها . فقد  
اتسعت تحليلات النظم . وخصوصاً من خلال مفاهيم الرسالة والذاكرة والتنفيذية  
الراجعة . التي طورها كارل دويتش . من خلال رؤيته الواسعة . فجات محاولته .  
التي تزعم أنها تنطى علم السياسة بكامله .

ويجد نموذج هربرت سبيرو مكانه أيضاً . ليس من خلال زعمه تقديم نموذج  
شامل للسياسة المقارنة . وليس علم السياسة بكامله كما ادعى دويتش وإيستون في  
محاولتيهما . وإنما من خلال مفاهيم خاصة محددة . تناولها سبيرو . لتعريف  
المجتمع والنظام السياسي . والتضايا . والإختلاف بشأن المشكلات . بغض النظر عن

درجة الحاحها ، ومرونتهما ، وبغض النظر عن النجاح او الفشل فى محاولة حلها .

وتمتد تاثيرات تحليل النظم لايستون ، لتؤثر فى هذه المحاولات التى قام بها دويتش ، وسبيرو ، الى مورتن كابلن ، الذى حاول ان يبذل جهداً ، اعتبر رائداً ، لتطبيق هذا التحليل فى السياسة الدولية .

لذلك يتضمن هذا البحث ، بالتحليل ، تقييماً لمحاولة إيستون التى اهتم فيها بما اسماء " نظرية سببيه " لبحث وتوضيح العلاقة بين الوقائع السياسية .(٨)

وهذا التحليل يفرض الأمام بمحاولات إيستون المبكرة ، وكيف تطوّرت إلى مرحلة جديدة ، تبلورت فيها فئات مترابطة منطقياً ، وإضافات جات فى اطار وعية لما احاط بمحاولته المبكرة من إنتقادات واعتراضات ، وان لم يتغير . به العام .

كما يستند تقييم جهود إيستون إلى محورين : أولهما - ل اهم الأصول الفكرية التى إستمد منها إطاره التحليلى ، وثانيهما - يعالج اهم الإنتقادات التى واجهت هذا الاطار ذاته ، وتشمل هذه الإنتقادات على وجه التحديد ثلاث فئات :-

- ا - الأولم تتعلق بالمفاهيم المستخدمة فى اطار التحليل .
- ب - والثانية تتعلق بالامكانيات الاجرائية .
- ج - والثالثة تتناول التوجهات الايديولوجية .

كذلك تعرضت محاولات تحليل النظم الأخرى للإنتقادات ، ولتقدير أهميتها ، وجوانبها الخاصة بها ، شملت صياغة دويتش ، وسبيرو ، وكابلن ، وما يرتبط بها من إمكانيات لبناء وبلورة نماذج جديدة .

أولاً : تدبيل النظره عند ديفيد إيستون

يعتقد ديفيد إيستون إن الحياة السياسية إنما تشكل " نظاماً سياسياً ملموساً " والذي هو جانب من النظام الاجتماعي العام ككل (٢) وقد إتجهت جهود إيستون لبناء نظرية سياسية موجهة وجهة أمبيريقية (٣) وبدا إيستون جهوده هذه في مطلع الخمسينات بكتابه " النظام السياسي " . ثم تطورت جهوده في النصف الثاني من عقد الستينات لتطور هذه النظرية من خلال وضع عدد من المفاهيم الرئيسية ، ومحاولة صياغتها ، على أمل أن تصبح ممكنة التطبيق أمبيريقياً (٤)

وقد استهل إيستون جهوده بالافتراضات الآتية :-

أولاً : إن البحث الإمبيريقى بهدف المعرفة التى يمكن الاعتماد عليها يتطلب فى النهاية بناء هيكل أوجسد لنظرية نظامية ، ويتطلب التعميم ، فالمعرفة العلمية هى معرفة نظرية تستند إلى حقائق ، لكن الحقائق وحدها لا تفسر الحوادث ، إذ لابد من أن تنظم بطريقة ما . وتنظيم الحقائق وربطها معاً ، فى إطار علم السياسة ، يسهم فى تصور إيستون ، فى اصلاح المجتمع من خلال تطبيق المعرفة .

ثانياً : إن دارسى الحياة السياسية يجب أن ينظروا إلى النظام السياسى ككل ، وليس التركيز على حلول لمشكلات خاصة . والنظرية يجب أن ترتبط بالمعرفة الموثوقة ، التى يمكن الاعتماد عليها ، والبيانات الأمبيريقية . والنظرية بلا حقائق قد تكون موجهة ، لكن الوجهة لا تكون فى الاتجاه الصحيح . أى إن مغزى النظرية قد يتلاشى ، وقيمة الحقائق قد تنتهى (٥)

ثالثا : إن دراسة النظام السياسى تستند إلى نوعين من البيانات : اولهما : البيانات  
السيكولوجية التى تتعلق بالشخصيات والدوافع ، وثانيهما : بيانات موقف  
معيّن يشير إلى النشاط الذى تصوغه وتشكله التأثيرات البيئية ، وهى  
التأثيرات التى مصدرها البيئة المادية والجغرافية والبيئة الاجتماعية بمكوناتها  
المختلفة .

رابعاً : قد توصف الحياة السياسية بأنها غير متوازنة . عدم التوازن لا يعنى فقط  
التغير أو الصراع ، وإنما الاتجاه المضاد للتوازن . التوازن إذن مفهوم فى  
عقل الباحث ، يساهم فى فهم العالم الإمبريقي ، بمعنى أن العقل يتصور  
نتيجة ما قد يكون ، وهذه النتيجة قد تتعارض مع ما يحدث فعلاً فى  
الواقع العملى . والإختلاف بين الحالتين يمكن تفسيره وتوضيحه .

لقد تضمنت معالجة إيستون صياغة لأطار نظرى عام ، فركز على النظام ككل  
وليس مجرد اجزاء منه ن وكان على وعى بالتأثيرات البيئية على النظام ، وأدرك  
الفروق بين حياة سياسية فى حالة توازن ، وحياة فى حالة إختلال التوازن (٦).

وقد رفض إيستون مفهوم الدولة ، بالنظر إلى الإختلاف والاضطراب فى المعانى  
الذى يثيره هذا المفهوم . والنظام بالنسبة له يسمح بتحديد المفاهيم النظرية  
بوضوح ، والقوة تفهم بإعتبارها واحده من مفاهيم عديده ذات مغزى ، تنفيذ فى  
دراسة الحياة السياسية . والقوة ترتبط بصياغة وتنفيذ السياسة السلطوية فى  
المجتمع . وتعتمد القوة على التأثير الذى يخضع له الآخريّن ، وضبط ورقابة القنوات  
والطرق التى من خلالها تتخذ ، وتتخذ . القرارات المحددة للسياسة . وبهذا فإن  
السياسة تتكون من ذلك النسيج الذى تشكله القرارات والتصرفات ، التى توزع  
القيم (٧).

تمثل مفاهيم : القوة أو السلطة ، وصنع القرارات أو السياسات ، أهمية  
جوهريّة في تحليل إيستون للحياة السياسيّة كتوزيع سلطوي للقيم (٨) يقول  
إيستون ، " إن الخطوة الأولى في طريق إكتشاف بؤرة ، ومركز الدراسة أو البحث  
السياسي ، هي ضرورة البحث عن معنى المفاهيم الثلاثة : السياسة أو القرار المتخذ ،  
السلطة ، والمجتمع " (٩).

فالمجتمع في رأي إيستون ، وما يضمه من ابنية وعمليات ، تحدد المراكز  
الاجتماعية ، والأدوار التي يضطلع بها أعضاء هذا المجتمع ، وتوفر لهم امكانية  
تحقيق منافع محددة أو مكافآت وقيم ، لا تكون متاحة للآخرين . فالمراكز والأوضاع  
والأدوار الاقتصادية مثلاً توفر لأصحابها قيم ومنافع إقتصادية ، من عمليات الانتاج  
والتبادل ، وبالمثل فإن المؤسسات التعليمية والدينية والطبقية ، وغيرها ، تساعد على  
توزيع قيم ، ومزايا ومنافع أخرى ، تكون متاحة ، على نحو غير متساوي أو  
متكافئ ، في المجتمع ، وكل مجموعة من المؤسسات تساعد بطريقة أو بأخرى من  
طرق توزيع القيم في المجتمع . وعلم السياسة ، والبحث السياسي ، يعد بحثاً  
متميزاً . وتميزه في رأي إيستون يرجع إلى انه يتناول هذا التوزيع للقيم ، عندما  
يكون سلطويًا ، أي عندما يجب ان يتم أو يطاع ، وذلك وفق أسس سيكولوجية  
وأخلاقية (١٠).

قد يكون مصدر هذه الطاعة أو التبول هو الخوف من النتائج المترتبة على  
المخالفة ، كما قد يكمن هذا المصدر في العادات والتقاليد ، أو الرغبة في التماثل ،  
أو قد تفرض هيراركية القيم وتدرجها أولوية لمتطلبات حفظ وإحترام النظام  
الدستوري ، بحيث تسبق أي متطلبات تستلزمها إتباع سياسة ما ، أو قرار ما ، وعدم  
مخالفتها (١١).

ونظراً إلى الحاجة لنظرية نظامية ، فقد حدد إيستون بعض سمات للنظام

السياسي . وذلك في سياق محاولته في اتجاه نظرية سياسية عامة . من أهم هذه السمات والخصائص العامة للنظام السياسي التي ناقشها إيستون :-

أولا : خصائص تتعلق بتحديد النظام . ومكوناته . والعلاقات بينها . في شكل وحدات . وحدود . ومدخلات ومخرجات . وتمايز داخل النظام . وتكامل داخله . (١٢)

ثانيا : من المفترض إن النظم ذات طبيعة تكيفية . أو مرنة . فالنظم يجب أن تمتلك القدرة على الإستجابة للتوترات . والإضطرابات . ومن ثم أن تتكيف مع الظروف التي تحيط بها . ومع المؤثرات البيئية . وقد تتع النظم تحت تأثير ضغوط متغيرات جوهرية . وتأثيرات تتجاوز الإطار الذي توقعه الباحث مسبقاً .

ثالثا : قد تمتلك النظم عمليات للحياة . بمعنى الوظائف الأساسية . لكنها قد تكون غير قابلة للأكتشاف . أو للتعرف عليها امبيريقياً . وبدون هذه الوظائف الأساسية قد لا يكون في إمكان النظام أن يستمر على قيد الحياة . إلى جانب طرق الاستجابة والتكيف التي من خلالها تتم ادارة النظام وبثاقه .

رابعا : تضم النظم وحدات أو عناصر تمثلها التصرفات أو الأفعال السياسية ويقوم بهذه التصرفات أو السلوكيات السياسية أعضاء النظام . ويفترض إيستون أن مفهوم أعضاء النظام - بالرغم من أنه لم يقل ذلك صراحة - يشير إلى مجموعة معينة يمكن تحديدها من الأفراد الذين ينجزون أفعالاً أو تصرفات سياسية . (١٣)

ويؤكد إيستون ضرورة الإهتمام مبدئياً بمجموعة فرعية من هؤلاء

الاعضاء . وهي السلطات . لان النظم يجب لكي تجعل الحركة الجماعية

ممكنة ، إن تمتلك مثل هذه السلطات .

خامسا : وهذا يقود إلى المخرجات السياسية ، والتي تشير ، في مفهوم إيستون ،

إلى القرارات . او تصرفات السلطات وسياساتها المتخذة . كما قد تشير

المخرجات عنده إلى التوزيع السلطوى للقيم .

وتمثل المؤثرات البيئية أهمية تحليلية خاصة في كتابات إيستون ، لكنه اعتبر

ان من الممكن تبسيط مهمة تحليل اثر البيئة من خلال تركيز الانتباه على أنواع معينة

من المدخلات ، التي يمكن إستخدامها كمؤشرات لأهم المؤثرات ، وما تسهم به من

مضغوط ، عبر الحدود ، في النظم السياسية .(١٤) وركز على نوعين رئيسيين من هذه

المدخلات هما : المطالب والتأييد . ومن خلال هذين النوعين من المدخلات فإن

انشطة واسعة في البيئة يمكن أن تتخذ قنواتها في التأثير في الحياة السياسية . ومن

ثم تعد مؤشرات رئيسية للطريقة التي بواسطتها تعدل الظروف والمؤثرات البيئية ،

وتصوغ ، عمليات النظام السياسي .(١٥)

والفئة (١٦) من حيثها

بها (١٧) من حيثها

(١٨) من حيثها

من حيثها

من حيثها

من حيثها

من حيثها

من حيثها

من حيثها

من حيثها

من حيثها

من حيثها

من حيثها

من حيثها

من حيثها



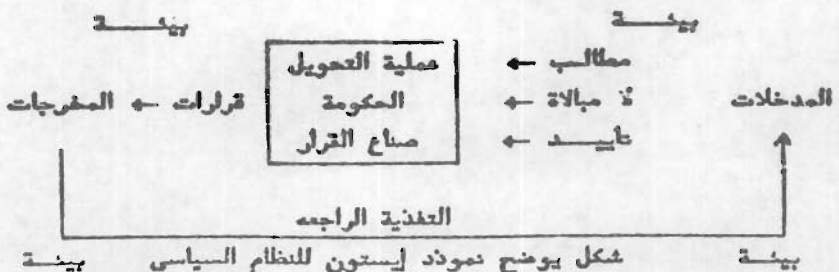
أشارت كتابات إيستون المبكرة إلى أهمية ما يحققه علم السياسة ، إذا أمكن استخلاص التعميمات التي تتجاوز خبرة أي نظام سياسي بمفرده ، أو أي نظم سياسية تنتمي إلى نفس الحضارة أو الثقافة ، بمعنى ضرورة التوجه المنهجي الذي يكفل الدراسة المقارنة للمؤسسات السياسية ، والتعرف على الطريقة التي من خلالها يمكن التعرف على كيفية قيام تلك المؤسسات بإنجاز نفس المهام في ظل الظروف المختلفة لكل نظام سياسي . لذلك أكد إيستون على أهمية إكتشاف المهام المتشابهة ، أو المحددة ، في كل نظام سياسي ، معاصر أو تاريخي ، في سبيل تطوير علم السياسة . (١٦)

اعتبر إيستون أن التفاعلات السياسية في مجتمع ما تشكل نظاماً للسلوك ، وهذا النظام السياسي لا يمكن فصله أو عزله عن النظام الاجتماعي الشامل ، وهكذا يمكن التمييز بين المتغيرات الجوهرية داخل النظام ، خصوصاً تلك المتعلقة بتوزيع القيم وتواتر الأذعان أو الطاعة ، والمتغيرات البيئية التي تؤثر في النظام ، والمخرجات الناتجة عن النظام . (١٧)

ويوضح الشكل التالي هذه السمات ، وقد أصبح مألوفاً ومتداولاً لدى أغلب

باحثي العلوم السياسية . (١٨)

البيئة الاجتماعية والإجماعية والسياسية



وهذا الشكل يفترض ، تحليلياً ، فصل الحياة السياسية عن الجوانب الأخرى في المجتمع ، والتي أسماها إيستون البيئة ، وهذا الفصل يتم من خلال حدود تبيين أين ينتهي النظام ، ويبدأ ، وتكون المدخلات في شكل مؤثرات على النظام ، وتنشأ من البيئة ، لو من النظام ذاته . فالمطالب تنشأ داخليا أو خارجيا ، وتصبح قضايا يكون اعضاء النظام معدين للتعامل مع مفرداتها ، ومناقشتها ، من خلال القنوات المعترف بها في النظام ، ويمثل التأييد توجهات لتطوير وبقاء النظام السياسي ، وتنطلق المخرجات من النظام في شكل قرارات أو افعال وتصرفات ، وهذه المخرجات تؤثر في التغذية الراجعة أو المرتدة عبر البيئة ، والتي تؤثر بدورها في إشباع المطالب ، وتولد بذلك تأييدا للنظام ، وقد تكون النتائج عكسية بمعنى تصاعد وظهور مطالب جديدة ، لو عدم التأييد للنظام .

وقد تطورت أفكار إيستون ، فبدلت كتاباته منذ ١٩٦٥ توضح مجموعة مترابطة منطقيا من الفئات ، تحمل طابعا امبيريقيا ، تجعل من الممكن تحليل الحياة السياسية كنظام للسلوك (١٩) ، فجاءت محاولة إيستون لإعادة صياغة أفكاره السابقة في شكل جديد ، تضمن فئات وافتراضات سبق له ان تناولها في محاولاته المبكرة السابقة ، ولربطت بالنظام والبيئة والإستجابة والتغذية الراجعة .

فالمجتمع بإعتباره النظام الذي يضم كل النظم الاجتماعية والسياسية والإقتصادية الأخرى ، وفيها من نظم ، يعتبر أكثر النظم شمولاً ، والنظام السياسي يتضمن مجموعة التفاعلات التي مصدرها السلوك الإجتماعي ككل ، في شكله الشامل ، والذي من خلاله فإن القيم يتم توزيعها ، توزيعاً سلطوياً ، على المجتمع ، وإشار إيستون إلى النظم المفتوحة والنظم المنلقة ، واعتقد ان الحياة السياسية تمثل اشكالا للنظم المفتوحة ، بمعنى إنفتاحها لتأثيرات من البيئة ، والحدود هي التي تفصل ، وتميز ، النظام السياسي عن النظم الأخرى ، وتحدد ما تتضمنه المعالجة ، وما يجري إستبداده منها .

وقد سمحت هذه المفاهيم لإيستون بدراسة العلاقات بين النظام السياسي والبيئة ، وما تتضمنه تلك البيئة من عناصر داخلية وأخرى خارجية . فالبيئة تتضمن عناصر داخلية تشير إلى تلك التي تقع خارج حدود النظام السياسي ، لكنها داخل نفس المجتمع . وقد تكون إيكولوجية بمعنى البيئة الفيزيائية وغير البشرية . أو تكون بيولوجية ، أي تتعلق بأفراد المجتمع الإنساني ، في تكوينهم العضوي ، وبالشخصية ، والتكوين السيكولوجي ، وبالبناى الإجتماعى والثقافى ، والنظم الإقتصادية والديموقراطية . أما العناصر الخارجية فلإنها تشير إلى جانب البيئة الذى يقع خارج المجتمع ، الذى يعد النظام السياسى نظام فرعى به ، وهذه البيئة قد تملح نتائج وتأثيرات هامة على بقاء النظام السياسى واستمراريته ، أو تغييره وتبديله .

وتتضمن البيئة الدولية على سبيل المثال ، وفق ما أورده إيستون ، نظم إيكولوجية دولية ، والنظم إجتماعية دولية ، ونظم سياسية دولية . والنظم الفرعية للنظام السياسى الدولى تتضمن نظم سياسية قومية ، والأمم المتحدة ، وقد يمكن إضافة التكتلات الدولية المختلفة إليها .<sup>(٢٠)</sup>

وقد تحول إهتمام إيستون إلى تحليل ديناميات النظم ، وبقائها أو استمراريتها ، فأكد أن النظام السياسى يبقى ويصمد فى وجه التغير ، لأن النظم السياسية ليست عزلاء بل دفاعات فى مواجهة الضغوط ، وأعتبر أن مصادر التغير وضروراته قد تاتى من إتجاهين : أولهما : من البيئة الداخلية ، أى من داخل المجتمع ، وثانيهما : من البيئة الخارجية أى من خارج المجتمع . ولعل إيستون قد تأثر بكتابات تالكون برسونز التى أشارت إلى مثل هذا التغير .

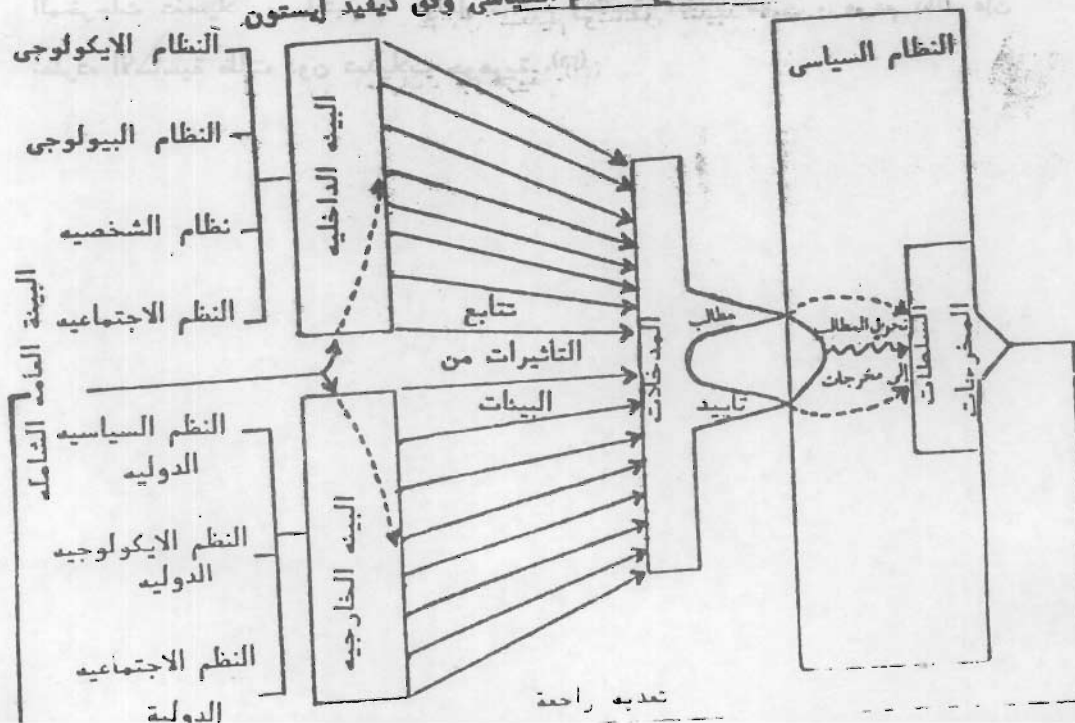
والحقيقة أن برسونز قد حاول معالجة بعض أوجه العملية السياسية ، والتى تشمل فى رايه ثلاثة أوجه<sup>(٢١)</sup> : أولها : ضرورة استمرار نوع من الاستقرار للنظام السياسى فى مواجهة التغيرات فى بيئة النظام ، أو ما يسميه برسونز بالتتابع

الدائري ، وهو ما يفرض على القيادة معرفة دقيقة بالظروف البيئية ، والموقف الذي يرتبط بحركة النظام . وتحقق ميكانيزمات للتوازن ، وبدون ذلك يتعرض النظام لإحتمالات عدم الاستقرار ، <sup>ديفيد</sup> : النمو ، وترتبط مشكلة النمو بمطامح لتوسيع مقدرة الترة للنظام بدرجة قد تتجاوز إمكانيات الموارد المحلية (٢٢) ، وثالثها : التنوير البنائي ، لو المؤسسي ، في المكونات البنائية للنظام السياسي . ويتناول برسونز مشكلات التنوير تحليلياً ، التي تسهم في تحقيق تقدم جذري ، وليس مجرد تطوّر (٢٣) .

وتتضمن هذه الأوجه الثلاثة في رأي برسونز توسعا كبيرا للعوامل الفاعلة في "عمليات" النظام السياسي (٢٤)

النظام السياسي إذن ، وفق ما ذهب إليه إيستون ، يتأثر بما يحدث في البيئات الداخلية والخارجية ، وقد استطاع إيستون أن يفترض نموذجاً لاستجابة ديناميكية للنظام السياسي ، كما يصوره الشكل الآتي (٢٥) .

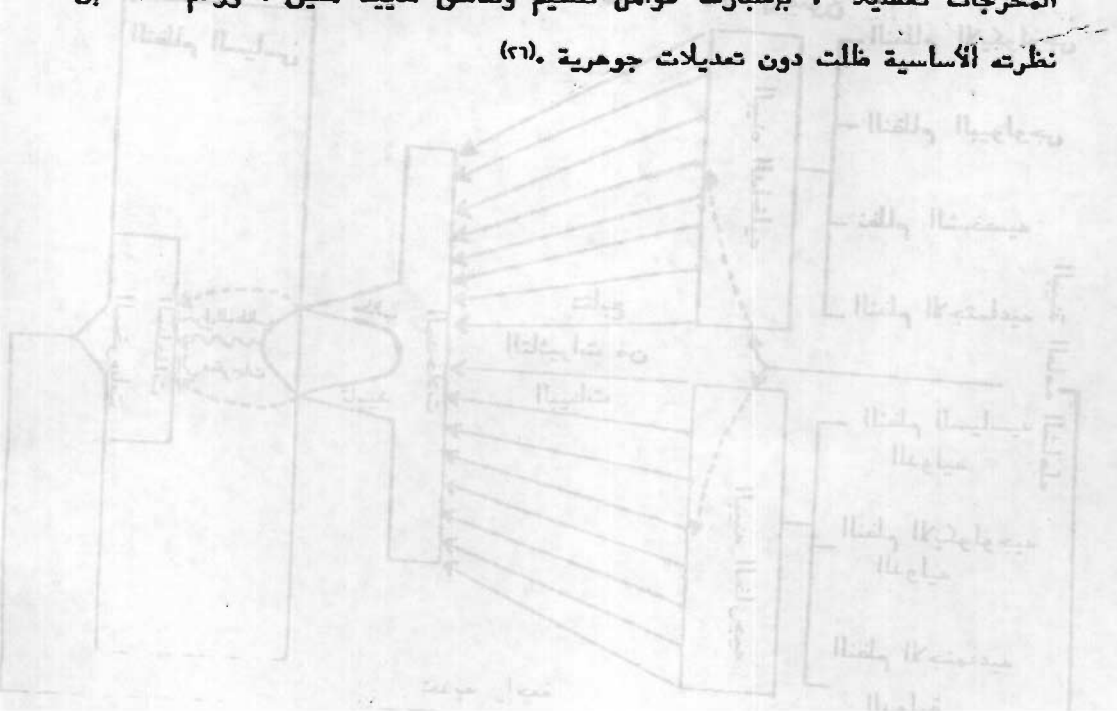
نموذج متتابع للنظام السياسي وفق ديفيد إيستون



لقد اهتم إيستون بتحديد المفاهيم ، ثم كانت خطواته التالية مناقشة النظرية العامة ، فاستمر ينظر إلى الحياة السياسية باعتبارها نظاماً مفتوحاً يخضع لضغوط وتأثيرات من مختلف الظروف البيئية .

والنظام عندما تهدده تلك الضغوط ، يميل إلى الصمود في مواجهتها ، والبقاء لذلك حاول إيستون أن ينتقب عن الأسباب التي تفسر صمود وبقاء النظام السياسي في وجه الأزمات المتكررة والمستمرة ، لتحقيق مهمة أساسية في طرح بعض تعميمات تمكنه من عملية بناء نظرية عامة .

لكن إيستون بدأ يدرك أن خطواته لم تحقق الهدف النهائي ، بمعنى نظرية كاملة محكمة ، وإن التوقيت بالنسبة لتحقيق هذا الهدف لم يأت بعد ، لكنه نجح ، في تقدير الكثير من الكتاب في صياغة إطار نظري واسع ، يستند إلى عدد من المفاهيم ، وكان الهدف أن يصل أساساً إلى بحث إمبريقي ، فركز على عدد من المقولات ، أو الفئات الأساسية في التحليل ، وحلل بأسهاب المدخلات المطالب ، وتحول إلى المدخلات التأييد ، وحدد إستجابات الضغط الواقع على النظام ، وناقش المخرجات تفصيلاً ، باعتبارها عوامل تنظيم وتناسق لتأييد معين ، ورغم ذلك فإن نظريته الأساسية ظلت دون تعديلات جوهرية . (٢٦)



## تقييمه وإشغادات

جعل الفكر ديفيد إيستون أهمية أصبح معها من غير الممكن مناقشة نظرية  
النظم في السياسة المقارنة مناقشة كاملة ، دون إشارة ، من نوع ما ، إلى هذه  
الأفكار . (٢٧)

لقد حاول إيستون صياغة نظرية نظامية تربط أفكاره بكل العلوم  
الإجتماعية (٢٨) ، وأشار إلى ان تحليل النظم قد حقق إنتشاراً وتداولاً في كل العلوم  
الطبيعية والبيولوجية ، وايضا الإجتماعية (٢٩) ، وأكد أهمية تبلور " النظم " كبؤرة  
محتمة للتحليل ، واعتبر ان تحليل النظم العام " ربما كان جهداً اكثر طموحاً من  
نظرية الفعل او الحركة " (٣٠) ، لكي تتجه العلوم الإجتماعية إلى نوع من الأطار  
العام . (٣١)

ومع ذلك فإن كتابات إيستون إنطلقت مبدئياً من علم السياسة ذاته ، وقد أشار  
إيستون إلى ان كتاباته قد تأثرت بأعمال وكتابات هارولد لاسويل وجورج كاتن  
وشارلز مريم ، ويؤكد مكنزي انه لا يوجد نظرية لايستون ، على النحو الذي توجد  
به نظرية مثلاً لتلكوت برسونز ، لأن إيستون إنما تناول بالتفسير ، والتعديل ،  
تياراً من الفكر في العلوم الإجتماعية تلوّث بشكل قوى لنحو أربعين عاماً . (٣٢)

وقد ركز إيستون على بناء نظرية سياسية - في تقديره - بناء على إدراكه  
لعاملين ، أولهما : إعتقاده بان الإهتمام بالمؤسسات القانونية والرسومية قد انقضى  
زمنه ، بمعنى ان علم السياسة يجب ان يتجه إلى التنظير للنظام السياسي ،  
وعملياته ، وليس إل الدولة ومؤسساته . ثانيهما : جعل إهتمامه يتجه إلى البحث في  
النظرية الكلية والتي تتعلق بالنظام ككل ، وتتجاوز حدود الدراسات متوسطة المدى ،  
المرتبطة بالأحزاب السياسية وجماعات الضغط ، وما شاكلها . والحقيقة إن كتابات



إيستون المبكرة (١٩٥٣) تعد مرتبطة أساساً بالتحليل متوسط المدى للأحزاب والجماعات وما إليها ، حيث رفض دمج هذه الدراسات الجزئية في مفهوم يتم تعميمه للنظام السياسي . أما كتاباته التي أتت بعد ذلك فقد إنتقدت بشدة نظرية التوازن التي يستند إليها التحليل متوسط المدى ، وبدأت تتجه إلى البحث في النظرية الكلية التي تتعلق بالنظام ككل .

وقد إستند إستون إلى مصادر وتحليلات بديله ، خارج نطاق علم السياسة ، منها كتابات في علوم الإجتماع ، والإقتصاد ، والإنثربولوجيا . ويشير بعض الكتاب إلى أهمية ، وتأثير ، برسونز بوجه خاص ، والذي انطلق في كتاباته من ماكس فيبر ، واستنتج منه إطاراً مرجعياً للحركة ، ممكن تطبيقه على النظرية الكلية في العلوم الإجتماعية . وقد قام برسونز بصياغة تعميمات حول النظام الإجتماعي ، وأضاف إستون إسهاماً ، وإن كان محدوداً ، إلى كتابات برسونز تتعلق بتساؤلات أثارها حول صحة النظرية السياسية ، بإعتبارها عنصر أساسي في نظرية النظم الإجتماعية .

ورغم التشابه بين إستون وبرسونز ، خصوصاً فيما يتعلق بإهتمام كل منهما المكثف بالقيّم ، ومدلولاتها ، وهو ما ظهر في أعمالهما ، فإن هناك أوجه إختلاف بينهما ، ويؤكد توماس لويس إن الليبرالية الكلاسيكية قد إستخدمت مفاهيم المساواة والإتفاق ، وهي مفاهيم متاملة في الصياغة الكلاسيكية عن الدولة التي وصفتها كتابات توماس هوبز وجون لوك . وبينما تتفق كتابات برسونز مع مفاهيم المساواة والإتفاق هذه ، والموجودة في المذهب الليبرالي الكلاسيكي ، فإن مفاهيم إستون ، حول التأييد واستمرارية وبقاء النظام وغيرها ... لا تقع ضمن المنظور الليبرالي ، كما أن فكرة إستون عن توزيع القيم لم يستخدمها هذا المنظور الليبرالي (٢٣)

وقد إستخدم إستون ، كوحدة للتحليل والمعالجة ، وإن كانت تكميلية ، " الوظيفة " ، والتي كان لها إستخدامها في علم الإنثربولوجيا ، وإستخدمت على

نطاق اوسع انتشاراً في علم الاجتماع . لكنها استخدمت بعد ذلك في مختلف العلوم الاجتماعية . (٢٤)

واكد إيستون ان التحليل البنائي - وفق التسمية التي اطلقها إيستون ذاته - لا يمثل نظرية ، وإنما مفهوم جوهرى في كل المناهج العلمية ، كما احتل صنع القرار ، أو الإختيار السياسى ، أهمية خاصة في الإطار الذى رسمه إيستون ، استناداً إلى كتابات اولئك الذين تاثروا بعلم النفس الاجتماعى واكدوا على أهمية عملية الإختيار .

ويبدو أن الأطار الذى رسمه إيستون قد تاجر إلى حد كبير بالمفاهيم التى ترتبط بالإقتصاد الكلى ، أو الماكرو ، وقد لاحظ وليم متشل إن مفهوم إيستون للتخصيم السلطوى للقيم يشبه نظريات توزيع الدخل وتخصيم الموارد فى علم الإقتصاد ، وفى النظرية الإقتصادية الكلاسيكية على وجه الخصوص ، وهى النظرية التى تركز أيضاً على الإقتصاد بإعتباره عملية توزيعيه ، أو ضام توزيعى .

ويشير وليم متشل إلى ان منهج علماء السياسة الأمريكيين لدراسة السياسة ، سواء على مستوى اطار المفاهيم المجردة ، أو على مستوى البحث الأمبيريقى الفعلى ، يجعلهم ينظرون إلى مشكلتهم على إنها مشكلة توزيع القوة ، أو قد يتبنون ذلك المصطلح الأوسع الذى اوضحته تحليلات إيستون وهو " التوزيع السلطوى للقيم " مع تركيز خاص على القوة .

وهذا التوجه فى دراسة السياسة ، يوصف بأنه توزيعى ، لأنه يهتم بالتوزيع أو التخصيم ، بإعتبارة أوظيفة الكبرى ، وإن لم تكن الوحيدة للنظام السياسة . ومن ثم فإن المشكلة الكبرى لعلماء السياسة تصف وتفسر هذه العمليات ، والأبنية ، التوزيعية . أما المشكلات الأخرى ، فإنها إما لا تدخل اصلاً فى نطاق المعالجة ، وإما تصبح ذات أهمية ثانوية محدودة . (٢٥)



ويشير ممثل إلى أن اعتبار السياسة عملية توزيعية تمثل مفرضية مهيمنة على علم السياسة الأمريكي . وفي الواقع خلال تاريخ الفلسفة للسياسة . وفق ما يعتقده (٣٦) . ويؤكد إن نظريات التوزيع يجب أن تظل جزءاً هاماً من علم السياسة ومن الفلسفة السياسية . طالما ظلت الظروف التي تفرض هذا التوزيع قائمة . لتجبل منه ضرورة . ولكنه يعتقد أن نظريات التوزيع في حاجة إلى أن ترتبط بنوع من التحليل أكثر شمولاً . كذلك النوع الذي تمثله نظرية النظم (٣٧) . لكن هذه الآراء أثارت تساؤلات لدى فريق من العلماء . فهل السياسة تمثل علم توزيعي فعلاً ؟ وإذا كان الأمر كذلك . فإين موقع السلع العامة . التي تختلف عن السلع التوزيعية . في كونها متاحة للجميع ؟ (٣٨) .

إن شمة تشابه مع النموذج الإقتصادي الكلاسيكي الذي تمثل كتابات آدم سميث بؤرة التحليل والدراسة فيه . كذلك فإن نموذج إيستون يشترك مع المنهج الإقتصادي التقليدي في قاسم مشترك لا يتعلق فحسب بأفكار النسق والمدخلات والمخرجات . بل وايضاً فكرة الندرة . والتخصيص . والمنافسة . وتحقيق أقصى ربح ممكن . والتوازن . والإعتماد الوظيفي المتبادل . والتنظيم الذاتي . والبحث عن تحقيق الأهداف . والتفذية الراجعة (٣٩) .

كذلك فإن إضافة إيستون لمصفاً " سلمطوي " إلى التوزيع تتعرض لتساؤلات . لأنها تكرر فكرة الطاعة . فيقابل كل الدرامتلون كل القرارات بالطاعة ؟ (٤٠) .

ومفهوم إيستون عن النسق ينبثق أساساً من العلوم الطبيعية وعلم الأحياء . يقول إيستون : إن علم السياسة في حاجة إلى نظرية عامة في العملية الحيوية . كذلك التي في علم الطبيعة . وعلم الأحياء (٤١) . ويؤكد أن النظم الفيزيائية والبيولوجية تتميز عن النظم الاجتماعية بأنها أكثر بساطة . لأنها نظم منزلة عن المناخ المحيط بها . وعن البيئة الخارجية . فالجسد أو النظام البيولوجي . وشرية الخائكة . وغيرها من

نظم عضوية مبسطة ، تقيها قشرتها الخارجية ، او جلدها يمزلها ، ويحفظ عملياتها الداخلية للنمو والحياة عن المؤثرات الخارجية ، بينما النظام السياسي يتكون من عوامل وتفاعلات إجتماعية تنتشر عبر المجتمع ، ويخضع لتأثيرات البيئة او المناخ المحيط به بشكل فعال ومؤثر (٤٢) .

وكثير من الكتاب يعتقد ان ما يقدمه إيستون يفتر إلى تحديد وتعريف واضح ذو منزى ، لمصطلح النسق او النظام ، الأمر الذى يطرح مشكلات منهجية ونظرية غير قابلة للحل (٤٣) .

وقد تآثر إيستون بالعلوم الطبيعية فى نقطتين : اولاهما : تتمثل فى إخضاعه للسلوك فى النظام السياسى لمبدأ التشابه او التناظر الوظيفى ، وإذا لم يكن كذلك ، فإن العمليات المتناظرة هى التى تحكمه . وثانيهما : محاولة البحث عن وحدات مستقرة للتحليل ، وحدات يمكن أن تلعب دوراً اولياً فى البحث الإجتماعى . وهذه الوحدات تماثل جزيئات المادة او الذرة فى العلوم الطبيعية .

وقد أوضح جون استن ان كتابات ديفيد إيستون قد تضمنت منهجين : المنهج الميكانيكى ، والذى اشار اليه بإسم إيستون (٤١) والمنهج الحيوى او ما أسماه بإيستون (٤٢) . فبالرغم من تعذر الجمع بين المنهجين فى آن واحد فإن كتابات ديفيد إيستون قد جمعت بينهما (٤٤) . وعلى حد تعبير جون استن فإنه يوجد إثنان إيستون ، ربما غير معروفان لإيستون نفسه ، ويقول : " قد يدرك المرء نوعاً من الثورة فى فكر إيستون - إشارة الى مفهوم إيستون عن ما بعد السلوكية او ما أسماه بالثورة الجديدة - لكن كيف يستطيع إيستون التوفيق بين التزامه بالعلم الأساسى ، وبين التكيف من أجل الملائمة والحركة (٤٥) .

كما اشار جون استن إلى المعضلة التى تواجه إيستون فى تحليل مفهوم

التوازن ، حيث لم يستطع القاء الضوء على تسلسل النتائج السببي الذي يؤدي إلى النتيجة (٤٦) ، وإلى الارتباك والحيرة التي يثيرها مفهوم بقاء النظام ، لأن كل النظم تتوازى باستمرار تحولات ، ومفهوم البقاء والاستمرارية لا يمكن أن يكون أداة للتفسير ، أو نظرية (٤٧) . كما أشار استن إلى الانتقادات التي تصف نظرية إيستون بأنها " ممارسة فارغة ، أو حشو وتكرار للمعنى لا يزيد شيئاً أو قوة " (٤٨) وتشير بعض الآراء إلى أن أفكار إيستون قد جاءت متوازية مع أعمال عالم النفس الأمريكي جيمس ميللر ، والذي يعد أول من ناقش قضية التكامل المنهجي ، ضمن أعمال فريق من علماء في مختلف العلوم الإجتماعية والفيزيائية والبيولوجية ، كالإقتصاد والتاريخ وعلم النفس والطب وغيرها (٤٩) .

وقد وضع جيمس ميللر الافتراضات الأساسية لنظرية عامة للنظم ، إستناداً إلى تعريف النظام بإعتباره " مجموعة من الوحدات بينها علاقات تربطها " وأوضح الاختلاف والتباين بين النظم الملموسة والنظم المجردة ، واهتم بالنظم الملموسة ، وعبر عن شكوكه بالنسبة للنظم المجردة أو النظرية التي صاغها برسوتز . كذلك أشار إلى التفرقة بين النظم المفتوحة والنظم المطلقة ، وإلى توازن النظام الذي قد يكون توازناً مستقراً ، أو غير مستقر ، أو محايد . وإلى النظم الحية بإعتبارها نظم مفتوحة ، وعلى الهيكل أو البناء بإعتباره الترتيب الاستاتيكي لأجزاء النظام . أما العملية فنظر إليها بإعتبارها " تغير ديناميكي لذلك النظام عبر فترة زمنية " . كما أشار إلى النظم والنظم الفرعية .

ومهما كانت التأثيرات على كتابات ديفيد إيستون ، والأصول الفكرية التي استمد منها أفكاره ، فإن هذه الكتابات والأفكار جاءت مبكرة لكي تضع صاحبها في مقدمة تيار نظرية النظم العامة ، والتي له فضل في تكييفها لتتلائم وعلم السياسة (٥٠) .

إن ثمة تشابه واضح ، وقاسم مشترك ، يجمع بين النظرية الاقتصادية ، وكذلك العلوم الفيزيائية ، والبيولوجية ، والإفتراضات المضوية للنظام كما صاغها ديفيد إيستون ، وليس من الصعب تحديد هذا التشابه ، كما أن ثمة تأثيرات لعلوم الاجتماع والانثربولوجيا على كتابات إيستون ، وهكذا ربط إيستون بين عناصر شكلت تقليداً للتكامل المنهجي ، في البحث عن نظرية للنسق أو النظام ككل ، وهناك محاولات للتوليف بين أكثر من منهج للوصول إلى نموذج عام أو نظرية عامة في الفكر المعاصر تستند إلى فكرة النسق ، وقد حاول أرفن لازلو توضيح أن مثل هذا النموذج العام متاح اليوم ، وهو نموذج النظم الفيزيائية والعقلية ، والذي يطبق على الخبرة الإنسانية ، ومشكلاتها ، وهو نموذج فلسفي للنظم ، يتضمن عناصر متكاملة ، ملموسة وحقيقية أو فعلية ، وبيولوجية ، وفيزيائية ، وأيضا إجتماعية<sup>(٥١)</sup> .

ويعتقد هولت وريتشاردسون أن ما يقدمه إيستون يفتقر إلى الأسس والمتطلبات التي يلزم توافرها في النموذج أو النظرية ، وإذا كان إيستون قد قدم أفكاره بإعتبارها نموذجا متتابعا للنظام السياسي ، فإنهما يعتقدان إن إيستون لم يقدم مثل هذا النموذج على الإطلاق<sup>(٥٢)</sup> .

إن مفهوم النظام يمثل نقطة محورية في صياغة إيستون ، وقد أكد إيستون - في إطار تعريف لهذا المفهوم في وضوح - أن التفاعلات السياسية في المجتمع تشكل نظاما للسلوك ، لكن هذا التعريف يصبح ذات مغزى فقط إذا توافر شرطان :-

الأول : إذا أمكن تعريف مفهوم نظام السلوك بشكل واضح محدد .

والثاني : إذا وجدت مجموعة من التفاعلات السياسية بالفعل في المجتمعات ،

بطريقة تتلامس ، وتتفق مع هذا التعريف<sup>(٥٣)</sup> .

لكن هذا المفهوم لا يحمل المفاهيم والنتائج التي تجعل منه أساسا لنموذج ، او جسداً لنظرية متقدمة ، وليس من المعقول - وفق هذا الرأي - الافتراض بان هذا هو ما يقدمه إيستون (٥٤) .

وعندما حاول إيستون تعريف النظام السياسي بأنه مجموعة من المتغيرات ، بغض النظر من درجة العلاقات فيما بينها ، قدم تبريراً لهذا التعريف ، باعتباره يحررنا من أن نتعرض لمناقشة ما إذا كان النظام السياسي هو حقاً نظام فطري لم لا (٥٥) . والمعيار الوحيد لدى إيستون الذي يمثل أهمية عند إنتقاء مجموعة من المتغيرات كنظام للتحليل هو ما إذا كانت هذه المجموعة تشكل نظاماً هاماً . وتساعد في فهم جانب من السلوك الإنساني ، في تقدير الباحث (٥٦) .

من هنا فإن ثمة حاجة واضحة إلى تعريفات إضافية قبل إتخاذ أي نوع من الصياغة النظرية ، او البحث الإمبريقي اللاملم للحياة السياسية (٥٧) . ويمكن العثور على واحد من هذه التعريفات الإضافية في كتابات إيستون ، الذي رأى إن النظام السياسي يمكن النظر إليه باعتباره : تلك التفاعلات التي من خلالها يتم توزيع القيم توزيعاً سلطوياً .

لكن هذا التعريف يقود إلى تساؤل هام حول مجموعة الإفتراضات الأساسية التي تمثل جوهر وأساس صياغة إيستون، التي يمكن إستخدامها كنموذج ، بمعنى ، ما هي طبيعة العلاقة بين النظام كما يعرفه إيستون ، وكما يفهم من خلال وصف خصائصه ؟ أي ما طبيعته العلاقة بين تعريف الظاهرة وسماتها المميزة ؟

لم يقدم إيستون قواعد للاستدلال تسمح بتحديد واضح يخلو من النموض حول عناصر النظام ، وأعضائه ، وحدوده ، وبيئته ، في إطار هذا التعريف .

من هنا لا تقدم صياغة إيستون نموذجاً حقيقياً أو على أفضل التقديرات فإنها تقدم نموذجاً ضعيفاً يخلو من العناصر الأساسية ، لذلك يصف هولت وريتشارسون صياغة إيستون بإعتبارها " مجرد تجميع لفئات وصفية ، وتعميمات حدسية " (٥٨) . وبالرغم من أن هذه الصياغة قد استخدمت بعض من لغة ولساليب تتفق مع قواعد أو أعراف متفق عليها لتحليل النظم ، إلا أن الافتراضات التي تقدمها كنموذج ، وكمرشد لبحوث إضافية ، لا تمثل أكثر من مجرد " تعبيرات شيقه " ذات طسمة مؤقتة حول الحكومات (٥٩) . ومثال ذلك تحليلات إيستون حول الظروف الضاغطة التي تواجهها النظم ، والتي مصدرها البيئة ، حيث يؤكد إيستون إن النظام قد يمانى من هزيمة شاملة على يد عدو خارجي ، أو من لزمة اقتصادية حادة تثير إستياءاً واسعاً ، وتهدد بتفكك النظام ، الأمر الذي يثير افتراضات حول عجز السلطات وعدم قدرتها - فى رأيه - على إتخاذ القرارات ، أو أن القرارات التي تتخذها تصبح غير مقبولة ، وغير شرعية ، فيصبح التوزيع السلطوى للقيم فى ظل مثل هذه الظروف غير ممكناً ، وينهار المجتمع ، بسبب حاجته إلى نظام للسلوك لإنحاز وظائفه الأساسية (٦٠) .

فمن الصعوبة الإعتقاد بأن " مجموعة من التفاعلات " تخضع لهزيمة شاملة على يد عدو ، أو بفعل أزمة اقتصادية حاده . كما أن القول بخضوع تلك المجموعة من التفاعلات لإستياء واسع أو شامل ليس أمراً ممكناً أو معتاداً . وقبل مصطلح الحكومة قد يكون بديلاً عن مصطلح النظام فى هذه الحالة ، فتصبح مثل هذه التفسيرات ، مقبولة ظاهرياً ، لكنها تعبيرات لا يمكن أن تشكل عناصر ومقومات لنموذج بالمعنى الصحيح (٦١) .

والحقيقة التي تؤكد عليها هذه الدراسة إن كتابات إيستون وتحليلاته تمثل أهمية خاصة ، وعلامة بارزة فى تطور دراسة السياسة المقارنة ، وعلم السياسة عامة ، ولا يمكن القول بتجاهلها ، أو التقليل من أهميتها نتيجة الإستناد إلى معايير محددة

يلزم توافرها في هذه الكتابات والتحليلات لتشكل نموذجاً ، أو نظرية ، بالمعنى الذي حدده كلا من هولت وريتشاردسون ، أو من سار على قريبها ، خصوصاً عند المبالغة في أهمية هذه المعايير ومحتواها ، والتشديد على عناصرها بشكل يجعلها أقرب إلى المعايير المستخدمة في العلوم الطبيعية ،

• دون النظر إلى ما تتميز به العلوم الاجتماعية ، و علم السياسة على وجه الخصوص ، من طبيعية تميزها ، وسمات وخصائص تترك بصماتها واضحة على الكتابات والتحليلات في مثل هذه العلوم .

وعلى حد تعبير أحد الكتاب فإن إطار تحليل النظم الذي استخدمه إيستون " قد أيقظ علماء السياسة ولفت إنتباههم إلى طرق لتحليل العلاقات المتداخلة المعقدة للحياة السياسية " (١٤) .

إن إطار إيستون يمثل جهداً لتنظيم البيانات السياسية فإدل نسق متكامل من المفاهيم ، ويؤكد هذا الجهد على دراسة وتفسير النظم السياسية ككل ، أكثر من التركيز على عناصر هذا النظام ، كل منها على حده ، ويجوز ملاحظة الكثير من السمات المشتركة ، التي تجمع بين تحليلات إيستون ، وكثير من معقري المدرسة السلوكية ، من بين هذه السمات : -

(١٤) رفض المفاهيم التقليدية لعلم السياسة ، كالدولة والقوة ، والتي اعتبرت غامضة ، وثابت طليعة معيارية أو قانونية .

(١٥) إستخلم مفاهيم كالمدخلات والمخرجات والتنفيذ الراجعة ، والتي أعطت معنى حقيق ، كعناصر في بناء نظام ما .



«٣» تتضمن مفاهيم شاملة ، مثل التخصيم السلطوى للقيم ، والتي يمكن إستخدامها في تعريف المعرفة السياسية الكاملة .

«٤» التأكيد على ضرورة التكامل المنهجي في بناء النظرية (٦٣) .

إلا ان إطار إستتون لا يخلو من جوانب نقص ، وجهت إليها انتقادات عديدة . بعضها تركّز حول المفاهيم ، وبعضها الآخر تناول إمكانياتها الاجرائية ، والبعض حاول مناقشة توجهها الإيديولوجي .

#### أولاً : إنتقادات تتعلق بالمفاهيم

رغم ان إستتون قد كرس إهتماماً كبيراً لتبسيط وتوضيح المفاهيم ، فإن الكثير من الإنتقادات وجهت إلى صياغته ، على أساس عدم كفاية المفاهيم ، وأن ماجاء بها من مفاهيم كان مبالغاً في الإهتمام بإستقرار وبقاء النظام في مواجهة التغير ، والصراع ، الذي يميز الحياة السياسية الجارية في العصر الحاضر ، وهو المفهوم ذات الوجهة المركزية لتخصيم القيم ، وإستخدام الحدود .

وقد إتضح إهتمام إستتون بهذا المفهوم - مفهوم إستقرار وبقاء النظام أو إستمراريته - في مناقشاته المكثفة للبقاء ، بحيث أصبح بقاء النظام وإستمراريته يشكل قرينة مركزية في كل تحليلاته ، فأصبح كل شيء معلق على بقاء النظام (٦٤) .

ويبدو ان فكرة بقاء النظام لدى إستتون قد استقاما من علم الأحياء ، فالنظام المصنوع الحي يبقى مرتبطاً بالحياة ، وأعضاءه لو اجزاء هذا النظام المصنوع للكائن الحي تؤدي وظائفها لكي يستطيع النظام أن يحيا . ويؤدي وظائفه ، وعلى نحو مماثل إشار إستتون إلى " عمليات الحياة " للنظام السياسي ، فإذا فشل في تادية



وظائفه . فإنه - أي النظام السياسي - لا يستطيع البقاء والإستمرار على قيد الحياة ويقصد إيستون بعمليات الحياة " التخصيص السلطوى للقيم " فى المجتمع . والتي تشكل بدورها تعريفه لعلم السياسة . وهكذا فإن النظام السياسي يفشل فى البقاء عندما لا توجد سياسة (١٥) .

إن بقاء النظام واستمراريته يرتبط بالاستقرار . والتوازن . وكلها مفاهيم إستراتيجية . تتعارض مع طبيعة التغير السياسي . الذى يعترى المجتمع المعاصر . لذلك فإن مفهوم بقاء واستمرارية النظام تعرض لإنتقادات متتالية (١٦) . وإعتبره البعض مفهوم يقود إلى إدراكات خاطئة للمواقف الواقعية . وللشعب .

والفكرة التى تعتبر إن السياسة هى تخصيص للقيم تعرضت أيضاً للإنتقادات . بإعتبارها يمكن أن تقود إلى إفتراضات خاطئة . فالتركيز على مشكلات التخصيص قد يقود إلى النظر إلى النظام السياسي بإعتباره يزدى وظيفية واحدة فقط . هى التخصيص . بل وهناك من أعتبر إن السياسة لا تقوم بتخصيص القيم فى المجتمع . وإن الإقتصاد هو الذى يوزع الموارد والدخول (١٧) .

وسمحت هذه الإنتقادات أوليم ممثل بصياغة فكرة من خلالها ينظر إلى النظام السياسي على أنه نظام " للإختيار المتبادل " . والنظم الاقتصادية قد تطرح حلولاً للمشكلات . كذلك النظم السياسية تطرح حلولاً . أو تخلق خيارات عبر الزمن . وإلى جانب هذا التأكيد على الإقتصاد السياسي إفتراض ممثل نموذجاً للتبادل . مع الإهتمام بالأنسياب . الدائرى والممعد . للمبادلات .

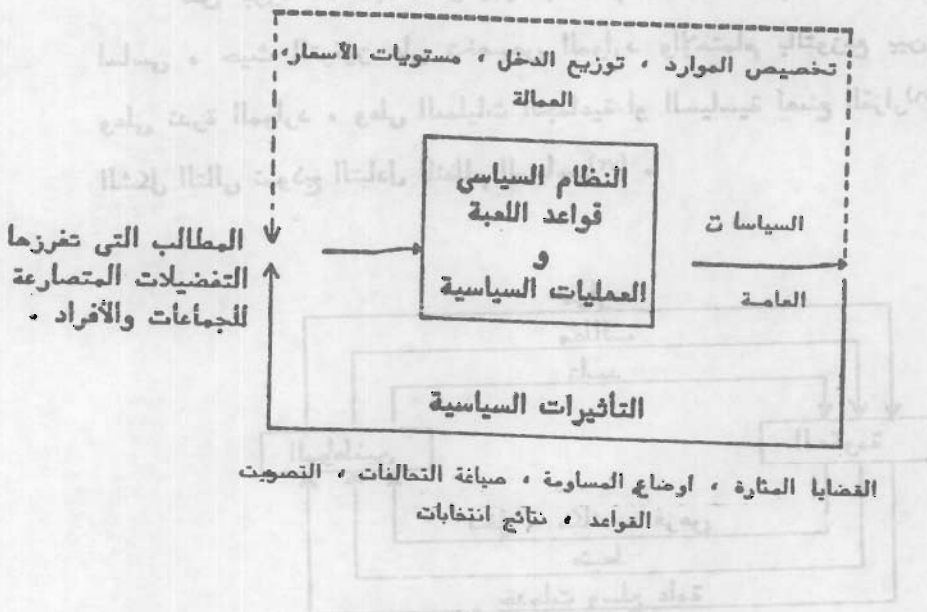
وفق ممثل فإن المفهوم الأساسى للسياسة . بإعتبارها فى جوهرها ظاهرة تبادل . يتضمن تأكيداً على المسائل الاقتصادية . ولا تختلف عموماً عن التبادل الإقتصادى . وفى هذا المنظور فإن التأكيد من جانب علماء الإقتصاد على الإختيار

العقائى من قبل الأفراد والمؤسسات ، يرتبط بمختلف اشكال التبادل التى تتداخل فيها الأحزاب والجماعات والأفراد والحكومات فى متابعة مصالحهم الخاصة (١٨) .

ويوضح الشكل الآتى إطاراً نظرياً للنظام السياسى ، مشتق أساساً من

• دليل الإقتصادى للأسواق (١٩) •

### التأثيرات الاقتصادية

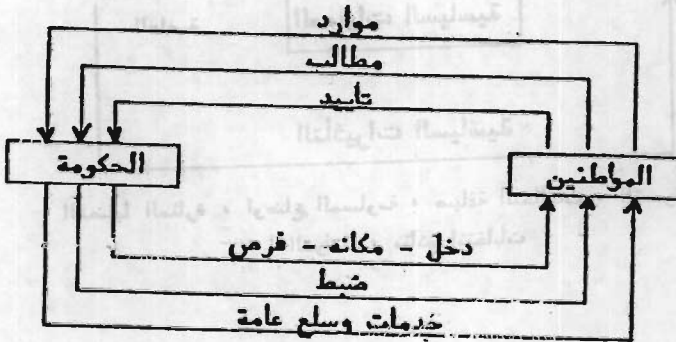


شكل يبين نموذج ممثل للنظام السياسى

فالقضايا المتعلقة بتخصيص الموارد وتوزيع المنافع والنفقات ، وميكانيزمات

الضبط من أجل التكيّف ، النمو ، والاستقرار ، كلها تجد لن النظام يفرز حلولاً لها في شكل "اقتصاد عام" والذي يختلف عن "اقتصاد السوق" بسبب عملياته الداخلية للاختيار الجماعي . وإهتمام علماء السياسة بمعالجة النظام في ظل الديمقراطية يماثل إلى حد كبير إهتمام علماء الاقتصاد ، وتاريخياً ، بإقتصاديات السوق الخاصة ، وإن كانت ترد قيود كثيرة مصدرها وجود كثير من النظم غير الديمقراطية في العالم (٧٢) .

لكن بؤرة المعالجة ، ومركز الإهتمام بالنسبة لعالم السياسة يختلف بشكل اساسي ، حيث التركيز على تخصيص الموارد والإهتمام بالتوزيع بين متنافسين ، وعلى ندرة الموارد ، وعلى العمليات الجماعية او السياسية لصنع القرار (٧٣) ... ويوضح الشكل التالي نموذج التبادل للنظام السياسي (٧٢) .



نموذج التبادل للنظام السياسي

مكذا فإن التأكيد والمبالغة في الإهتمام بجانب بقاء النظام ، وبالطابع الإستراتيجي ، والمحافظ ، فتح الطريق أمام نظرية الاختيار العقلاني الرشيد ، وما يرتبط بها من نماذج (٧٣) .

لقد تبني إيستون " التفاعل " كوحدة للتحليل ، لكل تظل هنا اشكالية يثيرها التساؤل : ما الذي يشكل تفاعلاً ملائماً من الوجهه السياسية (٨٠) لكن إيستون يقدم صيفته المبكرة " التخصيم السلطوي للقيم من أجل المجتمع " كإفترض ، على الأقل ، إجرائي ، يتضمن هذه التفاعلات السياسية ، ويقترح مصطلح " العضو " ، فالأشخاص الذي يلعبون أدواراً سياسية سوف يشار إليهم بإعتبارهم " أعضاء " والنظام السياسي ، من هنا ، سوف يحدد على أنه مجموعة من التفاعلات ، مجردة عن السلوك الإجتماعي العام ، في المجتمع ، من خلال ما يرتبط به من توزيع سلطوي للقيم (٨١) .

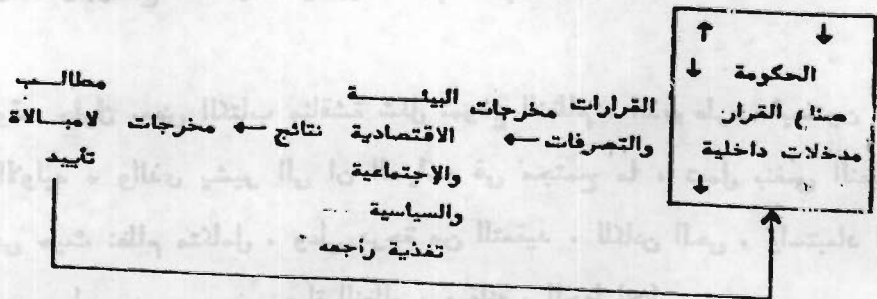
وهكذا فإن تحليلات إيستون قد اختزلت الانسان كظاهرة ، إلى تفاعلات ، فتظل وحدات النظام ، كما هو الحال بالنسبة إلى حدوده ، ذات طابع تحليلي . ويصف كريس تحليل إيستون للنظم عامة بإعتباره " نظرية رسمية " بمعنى استخدام فئات مجردة لترتيب البيانات (٨٢) ومن ثم فإن تحليل النظم لدى إيستون لايشكل في رأي كريس ، لفة متميزه ، أو منهجا ، وإنما اطار نظري ، قد يمكن توقع ان يثبت يوماً ما انه قادر على توجيه البحث السياسي ، وتنظيم المعالجة السياسي بطريقه مرضيه (٨٣) ولكن ثمة حاجه وضرورة للتعرف أكثر على ما يمكن ان يقدمه مثل هذا الاطار ، وعلى أي نوع من القيم والمعرفه يمكن ان يوضح ، وعلى امكانياته وقوته التفسيريه ، وبرنامج المعالجة ، وطريقة لفهم العالم النظري (٨٤) .

وقد حلل بعض الكتاب مناقشة شكل نموذج النظام ، الذي طرحه إيستون في صيفته الاولى ، والذي يشير الى ان السياسة في مجتمع ما ، تعمل بنفس النظام البيولوجي حيث نظام متكامل ، وعلى درجة من التعقيد ، للكائن الحي ، واستبعاد أي نظام فرعي ، أو جزء ، يمرض حياة النظام ، وبقائه ، للحظر (٨٥) .

ويفترض ان المطالب ، المدخلات ، يشعر بها صانوا القرارات الحكوميه ، الذين يدخلونها في اعتبارهم عند عملية اتخاذ القرارات ، والسياسات ، السلطويه ،

وهذه القرارات تلتقى بتأثيراتها في البيئة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . وهي قد تحظى ، اولا تحظى يميل وتعاطف المواطنين . والمواطنون يعبرون ثانياً عن مطالبهم من . . . . . وتعد هذه التغذية الراجعة ذات أهمية محورية لأنها ترتبط بالنظام . وقد توجهه الى ان يعدل قراراته وسياساته المبكرة . وهنا يثور تساؤل = هل ينطبق نموذج النظم في كل الحالات ، ام انه يفشل احيانا ، في ظل نظم كتلك التي كان يقودها هتلر او ستالين ، بعبارة اخرى ، كم من الاهتمام يمنحه الدكتاتور لمطالب مواطنيه ؟

لاشك ان هذه الانتقادات تمثل أهمية كبيرة . ويبدو انها توجه ، بوجه خاص ، الى المفهوم النامض لعملية التحويل ، او التفاعل داخل النظام . او ما يعرف بالمصندوق الاسود (٨٦) . وتقود هذه الانتقادات بعض الكتاب الى محاولة تعديل لنموذج النظام ، الذي طرحته كتابات ايستون اساسا ، لتعكس واقعا افضل ، بحيث توضع عملية التحويل للحكومة في البدايه ، وليس المواطنون وما يمثلونه من مطالب وتأييد . لانه قد لا يكون واقعا في كل الحالات ان يبدأ النموذج بحركة وتفاعل المواطنين ، ثم يستجيب الزعماء . وهذا النموذج المعدل يفيد في الملامحه مع الحقيقه المتغيره دائما . ويوضح الشكل التالي هذا النموذج المعدل (٨٧) :-



النموذج المعدل للنظام السياسي

من ناحية أخرى فإن اهتمام إيستون بالحدود قد أثار انتقادات أخرى .  
وتساؤلات : كيف يمكن التمييز بين النظام السياسي . والنظم السياسية الأخرى  
الإقتصادية أو الثقافية أو الإجتماعية ؟ وما إمكانية تناول . وتفسير . النتائج السياسية  
دون إشارة إلى الظواهر الإقتصادية والثقافية والإجتماعية المرتبطة بها ؟

وتثير مسألة الحدود صعوبات تحليلية ، خصوصاً بالنظر إلى النظم المتشابكة  
والمتمداخلة . والمديدة . للفعل أو الحركة . والتي يصعب الفصل الواضح بينها . فضلاً  
عن مشكلة التأكيد على نظام واحد دون غيره من جانب بعض محلي النظم . مثل  
برسونز الذي افترض ان النظام الاجتماعي هو الأساس . وأنه يتضمن النظم الأخرى .  
وهيرت سيبرو الذي يؤكد على النظام السياسي .

يضاف إلى ذلك مشكلة أخرى تتعلق بإمكانية فصل النظام . عن النظم الفرعية .  
وقد تفوق هذه المشكلة في بعض الحالات المشكلات المجردة الأخرى . وقد تفوق  
مشكلة تمييز النظم عن بيئاته المحيطة به . ويرى البعض إن إيستون لم يستطع ان  
يميز بين ما هو سياسي وما هو غير سياسي . لذا فإن ارتداده عن حل مشكلة  
الحدود بدأ واضحاً (٧٤) .

كما تجنب إيستون العنصر الإنساني في تحليله . التي تركز إهتمامها على  
الحركة والتفاعل . والسلوك . ولم تهتم إلا بشكل محدود . بالشعب . ولعل إيستون  
بسبب حاجته إلى مفاهيم التماثل والعمومية قد إستبعد الأفراد ككيانات بيولوجية من  
النظام السياسي . فالنظام ليس بالتأكيد مكون من مجموعة أفراد . إنه نظام  
للسلوك . فهو بمثابة مجموعة من " التفاعلات الملانمة " . ولم يمنح إيستون  
الشعب . والجماعات . إهتماماً لانقاصاً (٧٥) .

ثانيا : إنتقادات تتعلق بالإمكانيات الإجرائية

فالإطار الذى قدمه إيستون لم تتوافق فيه مقومات النظرية . بل ويشكك بعض الكتاب . أمثال هولت وريتشاردسون . فى إعتبره نموذجا . كما سبق توضيحه . فإطار النظام لدى إيستون يتضمن فحسب بعض التعميمات . وهو يتضمن عدد قليل من الإفتراضات . إن جدت أصلا . القابلة للأختبار (٧٦) . لكن رغم ان النتائج الإمبريقية . والتاثير على السياسة المقارنة . لهذا الإطار . كان محدودا . فإن افكار إيستون كان لها تاثيرها على دراسة علم السياسة .

وقد حدد جون استن الإطار الذى يستخدمه إيستون بإعتبره يرتبط بإقترايين . سبق توضيحهما . الأول ميكانيكى يرجع أساسا إلى نيوتن . وهو منهج تحليلى يستند إلى صحة التفسير الذى يربط بين السبب وما يترتب عليه من اثر محدد . والثانى بيولوجى او عضوى . ويرجع إلى وجهة نظر كانت شائعة بين كثير من علماء الاحياء (٧٧) .

وهناك من يرى ان النظام لدى إيستون يماثل تقريبا النظام عند علماء التشريح . الذين يعمدون إلى تفتيت الكائن الحى إلى نظم للتنفس . وللهضم . وللتناسل . وغيرها من نظم . والجمع بين المنهجين . البيولوجى والميكانيكى . مناه رؤية لتويع من الآلة التى تعيش على قيد الحياة . أو الآلة التى تحيا . وهى رؤية علماء الاحياء لميكانيكا نيوتن (٧٨) .

ويحتقد بول كريس أن رؤية إيستون لعلم السياسة رؤية إصطناعية . أو زائفة . للنظام . وللمضو فى هذا النظام . ويصنفها بأنها جوفاء . أو فارغة . وتفتقر إلى أى جوهر او مضمون (٧٩) .



### ثالثاً : إنتقادات تناول التوجهات الأيديولوجية

إذا ما تتبع الباحث ، ونقب ، عن الأسس والتوجهات الأيديولوجية ، للأطوار النظرى ، أو النظرية ، أو النموذج ، الذى حاول ديفيد إيستون الوصول إليه وبورته ، وإذا ما حاول الباحث تتبع تطور أفكار ومعالجات إيستون ، فى إتجاه نظرتة الشاملة لعلم السياسة ، فإن هناك بعض الإنتقادات التى يمكن تحديدها بناء على ذلك .

فلقد جاءت محاولة إيستون فى إطار أزمة فكرية وثقافية فى العالم الغربى ، وأهتم إيستون بوجه خاص بالضعف ، أو الإنحسار الوشيك للديمقراطية الليبرالية ، واعتبر ان علم السياسة يمكن أن يقدم ، بإعتباره علماً تطبيقياً نظاماً للإصلاح ، وفى الوقت ذاته وجه إيستون اللوم إلى المدرسة التاريخية ، لإفتقارها إلى نظرية سياسية (٨٨) .

وقد أشار إيستون إلى نظرية القيم للمدرسة التاريخية ، وهاجم فكرة النمط المثالى لماكس فيبر ، التى تستخدم العلم الاجتماعى ، المتحرر من القيم ، وإعترف فى الوقت ذاته بأهمية النظرية السببية ، أو العلمية ، واعتبر ان النظرية السببية ونظرية القيم مرتبطتان بعضهما ببعض ، ولا يمكن الفصل بينهما (٨٩) .

وفى كتاباته المبكرة - ١٩٥٣ - أكد إيستون على العلم ، والنظرية السببية ، وفى كتاباته المتتابعه بعد ذلك ، أصبح أكثر تفاؤلاً بشأن جوانب وإمكانيات لعلم سياسة حقيقى ، وأخذ تأثير المدرسة السلوكية يتزايد على كتابات ديفيد إيستون ، وأفكاره ، ليدعم من هذا التفاؤل ، ويعززه ، بشكل متزايد ، وأخذت تتناقص أهمية نظرية القيم فى فكره نسبياً .



لقد تضمنت المرحلة المبكرة من كتابات إيستون وصفاً وتصويراً لعناصر  
الدارس النظمي . وصاحب هذه المرحلة التكوينية لفكره فصلاً بين النظرية والفكر .  
وبين الممارسة والواقع . وميز إيستون في هذه المرحلة بين تحليل النظم . والتحليل  
الوظيفي . فالأول يفترض إن النظام يبقى . بينما يأخذ في التحول والتكيف بشكل  
خلاق . والثاني يتضمن شروطاً تتضمن نوعاً من الاستقرار والتوازن والتماكك .  
وتعتبر بعض الدراسات أن تأكيد إيستون مرة أخرى . في عام ١٩٦٩ (٩٠) . على البحث  
التطبيقي . وعلى الإهتمام بالافتراضات القيمية في البحث . يعنى تحول إيستون  
مجدداً إلى المرحلة المبكرة من كتاباته السابقة (٩١) .

وتصل مثل هذه الدراسات إلى إن إيستون قد أخفق في تحديد هدف المعالجة  
السياسية . واخفق في أن يقدم تعريفاً ملائماً للمجتمع . واخفق في التعامل مع  
التغير السياسي . ومعالجته . في لغة . وصيغة أخرى . غير لغة التجريد . والتي قادت  
إلى نتيجة ذات طابع غير إنساني (٩٢) . لقد بالغت تحليلات إيستون في التمثيل بعلم  
الإحياء . إلى درجة دفعت البعض إلى التساؤل عما إذا كان التحليل النظمي بمثابة نوع  
من التطبيق لعلم الإحياء على علم السياسة . أو ما يسميه البعض بعلم البيولوجيا  
السياسية . وهذا إذا كان يهتم بمسائل سياسية في طبيعتها ؟ إن من الضروري  
التمييز بين المشكلة البيولوجية لقضايا : كيف نحيا ؟ وكيف تستمر الحياة ؟ وبين  
المشكلة الأخلاقية لطريقة الحياة التي يجب أن يختارها الإنسان . إن ما هو سياسي  
ينبغي فهمه بالتمثيل والتناظر مع علم الأخلاق . وليس مع علم الأحياء (٩٣) .

ولقد وجهت إنتقادات إلى المنهج الذي استخدمه إيستون بإعتباره غامضاً .  
ويبدو أن إيستون قد خلق وعياً وإهتماماً بالمدرسة التاريخية . لكن يبدو أيضاً أنه  
وافق على التقليد الوضعي الذي يرى أن العلوم الاجتماعية يمكنها أن ترسي معرفة  
نظرية يمكن الإعتماد عليها . وتكون صحيحة موضوعياً . إذا ما جرى اختبارها لإثبات  
صحتها (٩٤) .

## ثانيا : تحليل النظم في تطبيقات اخرى

يتناول البحث التطبيقات الأخرى لتحليل النظم ، والتي قام بها علماء آخرون ، غير ديفيد إيستون ، وبوجه خاص كل من كارل دويتش ، وهربرت سبيرو ، ومورتن كابلن .

### ١ - تحليل النظم عند كارل دويتش

حاول كارل دويتش ان يقدم ، في تحديد واضح متميز للمفاهيم الأساسية التي استخدمها ، أكثر من مجرد " وجهة نظر اوجسد للأفكار والافتراضات الأولية " ، من خلال التوليف بين نظرية الاتصالات ، والنظرية السياسية ، في محاولته لطرح اساس للمقارنة بين قنوات الإتصال المعقدة في المجتمع الحديث ، بالنظام العصبي للجسد .

والحقيقة إن ما قدمه دويتش يحظى بتقدير كبير من العديد من الباحثين ، والذين منهم أشار إلى ان دويتش ذاته لم يكن عادلاً في تقييم منهجه ، ووضعه في مكانته اللاتقه ب(٩٦) .

وقد قام دويتش بمسح لأدبيات النظرية السياسية الكلاسيكية ، ثم تحول إلى دراسة المنهج ، والميكانيزم الذي يطبق في علوم الفلك والجاذبية ، وغيرها من نتائج . وإكتشف ان فكرة النمو والتطور ، وافكار كالأبتكار وغيرها كانت موضع تجاهل ، واستبعدت تماماً ، في الأدبيات الكلاسيكية ، التي تناولت دراسة الكائن الموضى الحي ، وهي الدراسة التي خضت لاعادة صياغة ، وتنقية وتطوير لمرات عديدة ، من جانب علماء الأحياء المعاصرين ، الأمر الذي سمح بتحديد نقاط للمناقشة ، وتتابع الخطى ، كالتفذية الراجعة ، وغيرها من مفاهيم أصبحت ذات مغزى هام في النظرية العامة للنظم ، وفي نماذج الاتصال(٩٧) .

كذلك تعرف دويتش على مفهوم آخر يرتبط بأهمية الخبرة التاريخية . وما تتضمنه من صراع أو حوار . والتي تناولتها في مياغة قوية ومحكمة كتابات هيجل وماركس في القرن التاسع عشر . وثوينبي في القرن العشرين .

كذلك ناقش دويتش مدلولات وأهمية النماذج الجديدة في العلوم الاجتماعية . وما قدمته مساهمات ماكس فيبر . ثم تحول إلى التحليل البنائي الوظيفي . واهتم بنظرية المباريات . ونظريات صنع القرار . وما تتضمنه من افتراضات . وقد حاول دويتش أن يقدم تحليلاته لتشمل علم السياسة بأكمله . سواء في تناوله للمجالات الداخلية أو الدولية (٩٨) .

وركن دويتش على استخدام مفاهيم السبرنتاتيقا - والتي تعرف بأنها علم الاتصال والتحكم أو الضبط - خصوصاً تلك المرتبطة بصنع القرار.

وفي الواقع فإن التوسع في مفهوم النظام قد غذته . وساعدته كثيرا . نظرية السبرنتاتيقا . والثورة السبرنتاتيقية (٩٩) . حيث يمكن استخدام مفهوم النظام لكي يطبق على الدولة - الأمة ككل . باستخدام مفاهيم واضحة محددة لا تتور حولها شكوك . وحيث الدراسة النظامية تدور حول الاتصال والتحكم في مختلف أنواع التنظيمات . ومن وجهة نظر السبرنتاتيقا . فإنه يفترض بأن كل التنظيمات متشابهة في سمات أساسية . وكل من هذه التنظيمات يتكون من عناصر يجمع الاتصال بينها في شكل متماسك .

وفق ما ذهب إليه دويتش فإن الحكومة تعتبر ضمن هذه التنظيمات . مما يبرز الأهمية المركزية لتلك المفاهيم في التحليل السياسي (١٠٠) .

لقد جاءت تحليلات دويتش مستنده إلى مفاهيم السبرنتاتيقا للإتصال والتحكم .

والذاكرة والادراك . والتنفيذية الراجعة . والتوازن ، ورأى دويتش مفهوم علم السياسة باعتباره " توجيه أو تحريك للسلوك الإنساني " (١٠٠) . ولذلك فمن الممكن ان يصاغ علم السياسة من خلال تلك العمليات للاتصال والذاكرة والتنفيذية الراجعة وغيرها .

وقد اعتبر دويتش الذات الفردية هي النسق الأصغر . في علم السياسة . والفرد . وما يضمه الجسد من ذاكره ودوافع وتمقيدات . هذا النسق الطبيعي والسيكولوجي للذات الفردية موضع لدراسة الأطباء وعلماء النفس وغيرهم . والنسق الأصغر الذي يلي الذات الفردية هو الأسرة . وغيرها مما يسمى بالجماعات الأولية - والتي يتراوح عدد اعضائها ما بين عضوين إلى ١٥ عضواً - وغالباً ما تخضع مثل هذه الجماعات لدراسات علماء الاجتماع والنفس وخبراء الإدارة (١٠٢) .

إن التنظيمات ينظر إليها . بشكل عام . كنظم للمعلومات . والتي تمثل علاقة نمطية بين الأحداث . والاتصال هو تحول لتلك العلاقات النمطية . والقنوات هي ممرات أو مسارات من خلالها تتحول المعلومات .

ومنه المفاهيم الثلاثة : المعلومات والاتصال والقنوات تشكل أساساً لتحليلات دويتش . في نظام لعملية الاتصال . ويفترض دويتش إن هذا النظام مزود بأدوات أو أسلحة للضبط والتحكم . أو لإرشاد النسق . ومنظم لضبط الحركة .

فالنظام يمتلك المعلومات . سواء كان مصدرها من داخل أو من خارج النظام (١٠٣) . حول أهداف وحالات معينة . لاتجازها . وهذه الأهداف قد تشير إلى بقاء واستمرارية النظام ذاته . بمعنى تقييد المتغيرات داخل حدود . أو قيود معينة . كما قد تشير الأهداف إلى نوع - أكثر إيجابية . بمعنى إن إنجاز مجموعة من هذه الأهداف والحالات لا يرتبط مباشرة بمجرد بقاء النظام . وإنما أكثر من مجرد بقاءه واستمراره .

وعندما يكون النظام في حالة تختلف عن هدف معين ، فإن إشارة خطأ سوف تتولد . وتقوم الميكانيزمات الداخلية للنظام - في مفهوم كارل دويتش - بمقارنة إشارة الخطأ مع الذاكرة ، وهي الذاكرة التي تتضمن معلومات حول حالة النظام ، وسلوك وخبرات تم تعلمها مسبقاً ، في حدود ما يتمتع به النظام من مقدرة في ذلك .

وينتج عن هذه العملية للمقارنة ، المبادرة بحركة تصحيحية ، وهذا يقودنا إلى مفهوم التغذية الراجعة . ذلك أن شبكة التغذية الراجعة لا حول تأثير الحركات التصحيحية السابقة ، وما ترتب عليها من نتائج . وهكذا فإن المعلومات تؤثر في توليد إضافات تصحيحية جديدة ، في عملية ديناميكية مستمرة ، حتى يتحقق الهدف ، في إطار نوع من التوجيه الذاتي .

وعلاقة النظام بالبيئة محورية في فهم التغيير . وقد ميز دويتش بين نوعين من البيئة ، هما البيئة الخارجية : بمعنى العالم الخارجى للنظام ، والبيئة الداخلية : أي العالم الداخلى للنظام ذاته . وهذه قد تكون أقل وضوحاً من البيئة الخارجية ، لكن تأثيرها يمكن أن يكون حاسماً في طريقة عمل النسج (١٠٥) . كما أشار دويتش إلى الحدود التي تفصل النظام السياسي عن البيئة المحيطة به . وهذه الحدود قد تكون في شكل خطوط فاصلة ، أو مناطق حدودية (١٠٥) .

واعتبر دويتش النظام السياسي جزء من النظام الاجتماعي . وقد أشار إلى وظائف النظم الاجتماعية ، وفقاً لعالم الاجتماع تالكوت برسونز ، والذي أوضح أن هناك أربعة وظائف أساسية لكل نظام اجتماعي ، أولها : تتعلق بالحفاظ على النظام وما يمثله من أنماط أساسية خاصة به ، وخصوصاً أنماط الحكم والضبط ، وثانيها يتعلق بتكيف النظام مع الظروف المتغيرة ، سواء كان مصدرها البيئة الطبيعية ، أو البيئة البشرية بمعنى النظم الأخرى ، وثالثها : تتعلق بتكامل وظائفه أو مهامه المختلفة

ورابعها : تتعلق بالأهداف التي تتجاوز مجرد الحفاظ على أنماط النظام ، وتكيفها وتكاملها ، ويجب التحرك لإنجاز وبلوغ هذه الأهداف . حيث أن دورها لا تقتصر على بلوغها بل إنها تركز على تحقيقها ، وتتميز بالارتباط الوثيق بالبيئة الاجتماعية . ويؤكد دويتش أن فحص ودراسة هذه الوظائف الأساسية الأربعة للنظام الاجتماعي ، كما يتصورها بروسونز ، توفر إمكانية التعرف على السياسة ، والنظم الفرعية في المجتمع ، في سياق هذه الوظائف (١٠٦) .

فالحفاظ على أنماط المجتمع - الوظيفة الأولى - يقوم بها نظم فرعية أو فاعلون كثيرون ، لكن النظام الفرعي الذي يكرس أكثر الموارد والوقت من أجل هذه الوظيفة ، هي الأسرة أو العائلة ، والتي تحافظ على إنتقال الثقافة ، وعلى حياة أفراد المجتمع وتلبية مختلف حاجاتهم . أما النظام الفرعي الذي يكرس إهتماماً أكثر لوظيفة التكيف ، فهو النظام الإقتصادي ، حيث تيسر الأنشطة الاقتصادية عملية تحويل الموارد الطبيعية ، من خلال العلم والتكنولوجيا ، وما تمثله من شركات ومؤسسات مختلفة ، إلى سلع وخدمات وغيرها مما يلبي حاجات المجتمع . أما النظام الفرعي الذي يلبي وظيفة التكامل ، فإنه يتمثل في النظام الثقافي أساساً ، بما يضمه من جوانب ومؤسسات للتعليم والدين والفكر والفلسفة . أما النظام الفرعي في المجتمع الذي يرتبط بوظيفة إحراز الأهداف وتحقيقها ، فهو الحكومة ، أو النظام السياسي بشكل عام . فالحكومة من التي تنظم المجتمع من أجل تحقيق ومتابعة الأهداف التي أنتجها المجتمع ، ومنها يتضمن تصوراً لتحويله أو مخططاً لهذه الأهداف ، ويجاد الوسائل لتنفيذها ، أو الطريق نحو بلوغها (١٠٧) .

ويؤكد دويتش على علاقات الاعتماد المتبادل بين هذه النظم الفرعية ،

والتغيرات فيما بينها ، فأفراد الأسرة يرتبطون بأدوار في النظام الاقتصادي ، وأعضاء التعليم والسياسي (١٠٨) ، ولاشك أن هذه العلاقات متبادلة أيضاً ، حيث يرتبط



وهذه النظم الفرعية الأربعة ، وفقا لبرسونز ، توجد في كل النظم الاجتماعية المعروفة . إلا ان الوظائف الأربعة التي تؤديها هذه النظم الفرعية تتعلق بحفظ وابقاء المجتمعات كما هي ، ولا تشير بالدرجة الكافية إلى طريقة التغير التي تسلكها المجتمعات . ويبدو أن برسونز - في رأى كارل دويتش - يفترض بأن كل النظم الاجتماعية تميل إلى التصرف وفق الطريقة التي بدأت بها وتأسست عليها . بينما من المعروف الآن أن العديد من النظم الاجتماعية في العالم قد تغير . وبعضها واجه تغيرات بالنتيجة (١٠٩) .

لذلك يقدم دويتش وظيفتين رئيسيتين ، إلى جانب الوظائف الأربعة التي أشار إليها في كتابات برسونز ، وهما وظيفتان هامتان بالنسبة للنظم التي يشكل التغير جانباً أساسياً من سلوكها : التماثل والتغير . والتماثل هو المحافظة على الوضع القائم ، والتغير هو التغيير .  
اولاهما : وظيفة تغير الأهداف ، بمعنى أن النظم لا تتابع فحسب الأهداف القديمة ، وإنما قد تتخلى ، من وقت لآخر ، عن الأهداف القديمة لتحل محلها أهداف جديدة .  
وثانيهما : وظيفة التحوّل الذاتى ، فالنظام قد يعتمد إلى تغيير وتحوّل في جانب من بنيتة التي قد يكون التغير فيها بطيئاً نسبياً ، أى أن التغير لا يتناول فحسب الأهداف ، بل قد يتناول الأبنية الأساسية المختلفة ، وأنماط السلوك في النظام ، وإن كانت العناصر الهامة في هويتها قد تظل دون تغير (١١٠) .

وهذا التعديل الإضافى الذى أشار إليه دويتش في تحليل النظم لدى برسونز قد يجعل من الممكن - فى رأى دويتش - استنتاج تلك الوظائف الأساسية للتغير السياسى والاجتماعى . وتغير الأهداف والتحوّل الذاتى يرتبطان دائماً بمشكلة تكامل المجتمع .

فالنظام الاجتماعي يغير اهدافه . وبينته الداخلية لأن بعض العناصر أو الوظائف بداخله لم تعد متوافقة مع العناصر أو الوظائف الأخرى . ولأن النظام لم يعد قادراً على ان يحيا . مع نفسه أو مع بيئته . فإنه يبدأ في تغيير اهدافه . أو التحول في ابيئته . ولذلك فإن تغيير الاهداف والتحول الذاتي تمثل جوانب أكثر تعقيداً للوظيفة الأساسية للتكامل (١١١) . ويعتبر دويتش ان أحد السمات أو الخصائص الهامة للنظم السياسية . وربما أهمها جميعاً . هي قدرتها على " التوجيه الذاتي " أو الاستقلال . وهي القدرة التي تجعل الحكومات . والجماعات السياسية تتمتع بالحيوية والفاعلية (١١٢) .

وتطلب الذاكرة وظيفة هامة في هذا التوجيه الذاتي . والاستقلال للنظام . فهي تعمل على تخزين المعلومات أو الرسائل الحالية . وإستدعاء المعلومات السابق تخزينها . ومقابلة أو مقارنة ومجاراة المعلومات كما سبق الإشارة (١١٣) . وإمتلاك الذاكرة يعنى في رأى دويتش توافر مصدر للهوية والاستقلال (١١٤) .

فالهوية . في رأى دويتش . هي إدراك ووعي للذاكرة الخاصة لفاعل . فرد أو جماعة . ولذات . إنها المقدرة على تذكر ان المرء يستطيع ان يتذكر . " إن هذا هو أنا . نفسى " يقول الفرد . " إن هذا هو نحن . أنفسنا " يقول أعضاء الجماعة الذين لديهم شعور أو إحساس بهويتها . وإنتلاقاً من هذا الشعور بهوية الجماعة فإنه يحتجى مجرد خطوة أولية لتحقيق تفضيلات سياسية . وإلتخاذ تصرفات سياسية .

والذاكرة تصبح أيضاً مصدراً للاستقلال . بمعنى القدرة على تطبيق المعلومات . من الماضى على قررات فى الحاضر . وبدون الذاكرة . وبدون ماضى فمآل . لا يمكن أن يوجد إستقلال . ولتحقيق إستقلال كامل يجب ان تتوافر ذاكره . لتخزين المعلومات السابقة . والتي يمكن إستدعائها . وتنفيذها عكسيا للقرارات فى الحاضر . ومن الضرورى توافر شبكة التغذية الراجعة (١١٥) .



وشبكة التغذية الراجعة ليست إلا شبكة من شبكات الإتصال التي عن طريقها يمكن للنظام استكشاف مدى الاقتراب ، أو الأبتعاد ، عن الهدف ، وتقوم هذه الشبكة بتغذية النظام بشكل دائم بالمعلومات ، ليتكيف النظام من جديد ، وفق هذه المعلومات التي يتم تنقيتها ، محاولاً تحقيق الهدف ، والتحكم الذاتي بشكل يضمن نوع من التوازن . كما توفر هذه الشبكة إمكانية تعلم النظام ، المعلومات السابقة ، ويتم إتخاذ القرار بناء على المعلومات المتاحة حتى لحظة إتخاذ هذا القرار (١١٦) .

كما تناول دويتش بالتحليل مفهوم الانجاز ، ومحصلة عمل النظام السياسي ، والنتائج التي تحققت فعلاً من خلال سلوك وحركة النظام ، آخذاً في إعتباره مقدار التكلفة التي تحملها النظام في سبيل احراز وتحقيق هذه النتائج (١١٧) . كذلك تناول أهمية متابعة النظام ، وتحقيقه ، للقيم التي يتطلع إليها الشعب في الوقت الحاضر ، وقدرته على متابعة قيم جديدة ، في المستقبل ، وربط دويتش ذلك بمستويات الحياة في المجتمع ، وبالزعماء ، والثقافة السياسية السائدة ونمط السلطة السياسية (١١٨) .

وقد لاحظ ان ثمة أربعة أنماط للنظم السياسية ، فهناك نظم مدمرة لذاتها ، وهي نظم تنفك عادة وتتحلل في بيئاتها ، ونظم من غير الممكن ان تحيا ، فهي غير قابلة للحياة ، وتصادف صعوبات تحول دون بقائها واستمراريتها في بيئاتها . ونظم قادرة على ان تحيا ، ويرجح لها ان تستطيع البقاء على قيد الحياة في ظل ظروف بيئاتها . ونظم مطورة لذاتها ، والتي تتمتع بإحتمال اعظم واقوى لأن تبقى وتحيا وتتغلب على ظروف البيئة (١١٩) .

ويعتبر هولت وريتشاردسون ان تحليلات كارل دويتش تحمل ، على الأقل جزئياً ، عناصر ومتطلبات النموذج العلمي (١٢٠) ، و إن كان هناك من يرى ان دويتش لم يحكم صياغة لنظرية النظم بشكل كامل ، بالرغم من ان دويتش قد رأى بوضوح تطورات متوازية في علم الأحياء ، وفي العلوم الاجتماعية (١٢١) .

ومتابعة تحليلات دويتش توفر للباحث السياسي العديد من الأفكار والافتراضات ، حول قضايا الفاعلية وكفاءة النظام ، والتوازن ، والاستقرار ، وتنظيم الحكومة ، وايضا الادارة ، والقومية وغيرها من افكار تناولها بأسلوب تحليلي متميز (١٢٢) .

وهناك من يعتقد ان كتابات دويتش ، والتي إتسعت إلى مجالات علم السياسة المختلفة ، بما فيها القيم ، والعلاقات الدولية ، وغيرها ... لا تقدم محاولة جادة بلورة نموذج أو نظرية محددة ، وإنما تقدم فحسب مجموعة من المقدمات والمبادئ الأساسية ، كالمعلومات والإتصال والقنوات والذاكرة ... والتي يمكن ان تعود إلى نموذج ، أو إلى بلورة إفتراضات أكثر احكاماً ، حول وصف وتحليل الحكومة ، والحياة السياسية ، وإن كتابات دويتش تحمل ، على الأقل بشكل عام ، افتراضاً بان الظاهرة السياسية يمكن تفسيرها من خلال مثل هذا النموذج ، الذي يمكن تطويره وبلورته (١٢٣) .

ويعتقد هولت وريتشاردسون إن استخدام مثل هذا النموذج يتطلب بحثاً طويلاً ، وأدوات منهجية ، وجهداً مكثفاً ، ويشيران إلى ان القضايا المركزية التي يجب ان يتضمنها النموذج الناجح ، لم تكن ، على ما يبدو ، في حساب دويتش ، وإهتمامه الجاد ، عندما قام بمحاولته (١٢٤) .

### ب - نموذج هربرت سيبيرو

إستمد هربرت سيبيرو ، تصوره الشامل للسياسة المقارنة ، من كتابات إيستون المبكرة حول النظام السياسي (١٢٥) ، ويحدد سيبيرو النظام السياسي بإعتباره جماعة أو مجتمع يرتبط بعمليات لصياغة ومعالجة القضايا ، ومن قضايا ترتبط بالمشكلات وبالاحتياجات ، وبالأهداف ، والتي قد يثور بشأنها الاتفاق أو الإختلاف (١٢٦) .

اعتبر

وقد لا سيبرو السياسة بانها العملية التي من خلالها يعالج المجتمع مشكلاته . فالمجتمع يضم الشعب الذي يكون على وعى بالأهداف العامة . المنشودة . والمشكلات تشكل عقبات في الطريق نحو الأهداف . وهي في حاجة إلى الإعراف بها لكي تصبح حقيقة . وملامة سياسياً . وإذا ما وجد إتفاق تام في المجتمع بشأن مشكلة ما . بعد ان يكون قد تم الاعتراف بها . فمثل هذه الحالة لا تحمل طابع السياسة (١٢٧) .

وفي هذا المعنى فإن المجتمع . أو الجماعة (١٢٨) . الذي يتفق أعضاؤه دائماً حول مشكلات لا يشكل نظاماً سياسياً . ومثل هذا المجتمع قليل الوجود نسياً . إن وجد أصلاً . لأن أغلب المجتمعات تشكل في الواقع نظم سياسية . ففي كل المجتمعات تقريباً تحدث الخلافات لتمثل " قضايا " . ومن ثم فالنظام السياسي يرتبط بمثل هذه المجتمعات . حيث خلافات . وتطوير للقضايا (١٢٩) .

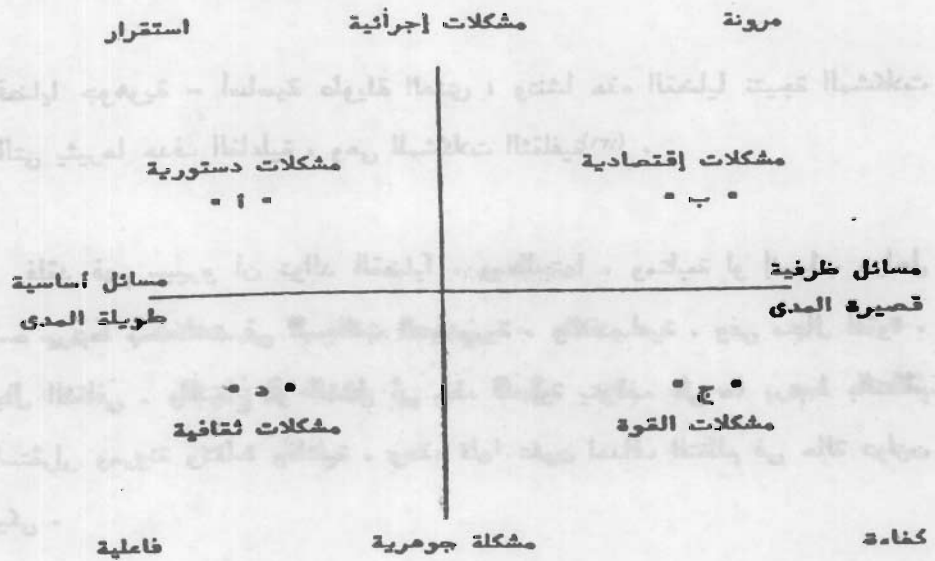
الشرط أو المتطلب الأساسي للنظام السياسي هو الإختلاف . فالسياسة ترتبط بوجود تلك المظاهر من خلافات . قد تكون ضيقة أو واسعة . مرنة أو جامدة .

إن أي مشكلة تدخل إلى عالم السياسة . حالما إعترف أعضاء المجتمع بها . وإختلفوا بشأنها . وتناذره عندما تحل المشكلة . ويتم الاعتراف بهذا الحل . وبين بداية ونهاية هذه العملية فإن القضية . أو القضايا التي تولدها أو تفرزها المشكلة تمر عبر مراحل . تتتابع خلالها السياسة . . ويأخذ هذا الأنساب المتتابع للمراحل الآتية :-

- (١) صياغة القضايا . ويتم عقب أن يتم التعرف على مشكلة ما . بإعتبارها قضية أو مسألة . وتتحدد الأهداف التي تمهد للحل .
- (٢) احكام الصياغة . وترتبط هذه المرحلة بتمحيص ودراسة الحلول البديلة للمشكلة .
- (٣) التمهيد للحل . وتتضمن تضييق هذه الحلول البديلة . إلى ان تتحول إلى بديل واحد أو سياسة وقرار واحد .

« حل المشكلة . بمعنى تحقيق الأهداف المحددة منذ البداية . والاعتراف بهذا الحل (١٣٠) » .

ولأن المشكلات هي عقبات تقف في طريق الأهداف . فإن الاختلافات قد تكون حول جوهر الأهداف . أو الإجراءات المستخدمة للإقتراب منها . والقضايا ينظر إليها على أنها تتضمن مسائل أساسية طويلة المدى . أو مسائل ظرفية قصيرة المدى . ويمكن تمثيل هذه المشكلات والمسائل في شكل . يوضح المحور الراسي فيه : المشكلات الإجرائية . والجوهرية . ويمثل المحور الأفقي : المسائل الطرفية قصيرة المدى . والمسائل الأساسية طويلة المدى . على النحو الآتي :-



وهذا التصنيف يوضح العلاقة بين مرونة المشكلات واستقرارها . وبين كفاءتها وفعاليتها . فالمشكلات الاقتصادية هي الأكثر مرونة وأقل استقراراً . بينما المشكلات الدستورية هي الأقل مرونة وأكثر استقراراً . والمشكلات الأساسية طويلة المدى هي الأقل مرونة وأقل كفاءة . بينما المشكلات الجوهريّة هي الأكثر مرونة وأكثر كفاءة .

فنى كل نظام ، فإن بعض القضايا تنشأ ، وفق أربعة مجموعات على النحو الآتى :-

(١) قضايا إجرائية - أساسية طويلة المدى ، وتنشأ هذه القضايا نتيجة المشكلات التى يثيرها هدف الإستقرار ، وهى المشكلات الدستوية .

(٢) قضايا إجرائية - ظرفية قصيرة المدى ، وتولد هذه القضايا نتيجة المشكلات التى يثيرها هدف المرونة ، أى المشكلات الاقتصادية فى المجتمعات الحديثة والآخذة فى النمو .

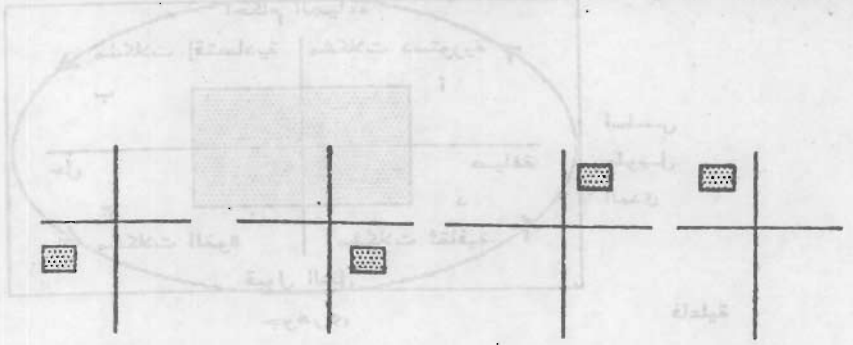
(٣) قضايا جوهرية - ظرفية قصيرة المدى ، وتنشأ نتيجة المشكلات التى يثيرها هدف الكفاءة ، وهى مشكلات القوة .

(٤) قضايا جوهرية - أساسية طويلة المدى ، وتنشأ هذه القضايا نتيجة المشكلات التى يثيرها هدف الفاعلية ، وهى للمشكلات الثقافية (١٣٢) .

فلقد فهم سبيرو أن توالد القضايا ، وسطحيها ، ومتابعة أو إنسياب مراحل السياسة يرتبط بمختلفة فى الميادين الديمقراطية ، والتكنولوجية ، وفى مجال القوة ، والمجال الثقافى . فالنجاح أو الفشل فى هذه الميادين يتوقف على ما يرتبط بالتنظيم من استقرار ومرونة وفاعلية وظرفية . وهذه كلها تكون أهداف للتنظيم فى حالة توازن ديناميكى .

فالنجاح النسبى للنظم السياسية ، أو للنظام السياسى فى مراحل مختلفة من تطوره ، يمكن الوقوف عليه ، بواسطة الدرجة التى يحرزها النظام فى إدارة ، واستمرارية ، توازن ديناميكى ، بين الأهداف الأربعة : الإستقرار ، والمرونة ، والكفاءة ، والفاعلية (١٣٣) .

والنظام السياسي المتوازن ، بدرجة او باخرى من درجات التوازن ، والذي يلتزم اعضاءه بهدفه الاستقرار ، يثير عدد اكبر من القضايا المرتبطة بهدف الاستقرار ، ويكون النمط السياسي ، للنظام الفرعي الذي يمثله هؤلاء الاعضاء ، كطابع شرعي ، وعلى نحو مماثل تكون الانماط السياسية للبرامج ، والعنف ، والإيديولوجية وهو ما يوضحه الرسم التالي في الأشكال ا ، ب ، ج على التوالي (١٧٣) :



شكل د

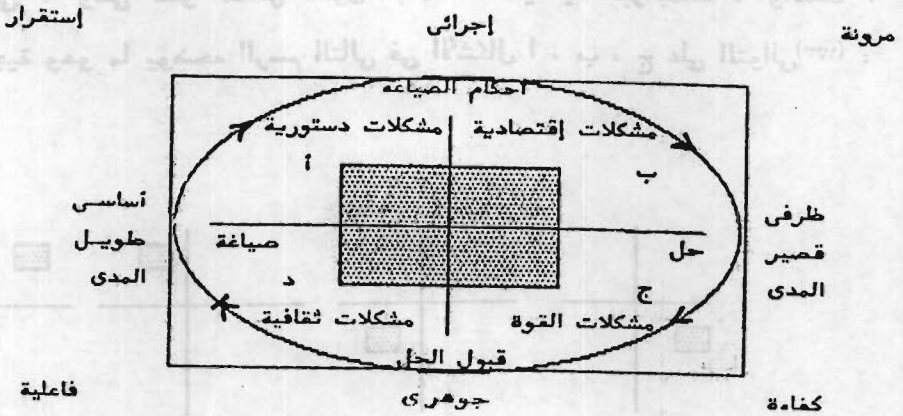
شكل ج

شكل ب

شكل ا

نظام فرعي نمطه السياسية الشرعية الإيديولوجية	نظام فرعي نمطه السياسي العنفي السياسي	نظام فرعي نمطه السياسي البرجماتية	نظام فرعي نمطه السياسية الشرعية الإيديولوجية
--	---	---	--

ويمكن توضيح نموذج سبيرو الشامل للسياسة المقارنة في الشكل الآتي :-



شكل بياني للنظام في حالة توازن ديناميكي

ويعتقد سبيرو في أهمية هذا النموذج لما يرتبط به من مزايا، أهمها :-

«١» أنه يؤكد على نفس الجوانب في أي نظامين أو أكثر من النظم السياسية يمكن مقارنتها .

«٢» إن أوجه التمايز بين النظم . وفق هذا التصور . لا يتطلب معالجة للجوانب الثقافية والاجتماعية والسياسية .

«٣» كما إن تقسيم الوظائف إلى فئات . مستقاة يمكن . وفق هذا النموذج . تفاديه .



«٤» يمكن أن يطبق هذا النموذج على أي نظام سياسي ، مهما كان صغيراً أو كبيراً ، متقدم أو نامي .

أما عيوب هذا النموذج فقد توقعها سييرو ، مسبقاً ، وتتلخص حول تعريف المجتمع ، ومعمار النظام السياسي ، الذي استخدمه الكاتب ، وإعماله للمؤسسات السياسية كمؤسسات الرئاسة والبرلمانات والوزارات ، ودور الجماعات . كما أشار إلى انتقادات تتعلق بالعلاقة بين المجتمع والنظام السياسي ، فإيهما له الأولوية ؟ هل المجتمع سابق على النظام السياسي في المجتمع ؟ وتوقع تساؤلات حول المقارنة ، إذا تم قبول هذا النموذج ، وإمكانية إختلاف الباحثين حول طابع القضايا . فهل تحليل قضية ما طابع العنف ، أم إنها ذات طابع برامجي(١٣٥) ..

ويبدو أن اسبيرو قد عمد إلى المبالغة في تبسيط الاختلافات بين النظم . ولم يحاول أن يطبق محاولته بشكل نظامي على بيانات امبيريقية . وقد لا توجد محاولات ، أو كتابات ، حول هذه الامكانية . الأمر الذي يجعل محاولة سييرو مجرد مفاهيم سياسية مجردة حول النظم(١٣٦) .

### ج - مورتن كابلن وتحليل النظم الدولية

هناك تطبيق آخر لنظرية النظم على السياسة الدولية . قام به مورتن كابلن ، في كتابه بعنوان " النظام والعملية ، في السياسة الدولية " (١٣٧) والذي يشبه صياغة إيستون(١٣٨) . والفرضية التي يجعلها كابلن محورياً لكتابه هي أن " علم السياسة العلمي يمكن أن يتطور فقط عندما تجرى معالجة موضوعاته من خلال نظم للحركة " (١٣٩) ويقصد كابلن بنظام الحركة : مجموعة من المتغيرات ترتبط فيها بينها ، وتميز عن بيناتها ، ويمكن تحديد مظاهر التماثل والتناقس السلوكي ، الذي يعد طابعاً مميزاً للعلاقات الداخلية للمتغيرات ، كل منها للآخر . والعلاقات الخارجية ، لمجموعة من المتغيرات(١٤٠) .

وقد اشار كابلن إلى الاستقرار وعدم الاستقرار في مناقشة تحول النظم .  
واقترض ان كل النظم تكون في حالة توازن(١٤١) . وقام بتعيين حدود للنظام السياسي  
كجسد مكون من قواعد . وحدد كابلن ستة انماط للنظم الدولية : هي نظام توازن  
القوى . ونظام القطبية الثنائية المرن . ونظام القطبية الثنائية الجامد . والنظام  
المالئ . والنظام التدرجى او الهيراركى . ونظام الوحدة الافتراضية(١٤٢) .

ويعتقد كابلن ان نظام الحركة هو مجموعة المتغيرات المترابطة . والتي تصف  
الانتظامات السلوكية . ويقصد بالانتظام العملية التي بواسطتها يحاول النظام الحفاظ  
على هويته . والابقاء عليها عبر الزمن . ومن خلال التكيف مع الظروف المتغيرة(١٤٣)  
فكل نظام له هويته . ومن الضرورى وصف هذه الهوية فى الأوقات المختلفة . بمعنى  
وصف الحالات المتتابة للنظام . والتغيرات التي تطرأ عليها(١٤٤) .

وقد تعرضت نظرية النظم فى السياسة الدولية لإنتقادات . وجهت إلى اصول  
النظرية . والتي ارتبطت بأفكار مستعارة من كتابات علماء الأحياء . وعلم إجتماع  
المعرفة . وبالفلسفة الوضعية . كما ربطت هذه الانتقادات بين صياغة كابلن والكتابات  
المبكرة لديفيد إيستون .

وكان إيستون قد زعم ان اطار تحليله للنظم ممكن التطبيق على النظم  
الدولية . لكن هذا الإدعاء تم تنفيذه بواسطة دراسات عديدة(١٤٥) . ونحاول البعض  
التمييز بين تحليل النظم . ونظرية النظم . على افتراض او تحليل النظم يرتبط  
بالتخطيط والبرمجة والميزانية كتكنيكات فى عملية صنع القرار للأداء الكفء للحكومة .  
أما نظرية النظم فإنها تمثل تجريداً للحقيقة . وتحديدًا للحدود . وللنظم الفرعية .  
وغيرها من مصطلحات إستخدامها إيستون وآخرون .

والحقيقة او صياغة كابلن للنظم فى السياسة الدولية . والقواعد التي تعتبر



### خاتمة

في المقود الأخير استخدم تحليل النظم ، بشكل متزايد ، وتداول واسع النطاق ، إلى درجة افقدت المصطلح الكثير من مضمونه ، وخصائصه وسماته الجوهرية (١٤٨) ، من هنا تجد دراسة تحليل النظم هدفها الأساسي ، وهو التوضيح والتفسير ، والرؤية الانتقادية الشاملة ، وسبر امكانية الاستناد الى هذا التحليل في التفسير ، والتنظيم ، وفي الفهم والتنبؤ .

والمصطلح له معانيه الدقيقة ، بدرجة او باخرى من درجات الدقة ، والاختلاف في درجة الدقة قد يشوه المفهوم (١٤٩) ، وحاولت الدراسة توضيح المفاهيم والافتراضات التي يتضمنها اطار تحليل النظم ، والسمات والخصائص التي ترتبط بهذا الاطار .

لكن هل استطاع تحليل النظم ان يقدم "نظريه ديناميكية" (١٥٠) ، تجعل البحث السياسي قادر على التنبؤ بحالات مستقبلية معينة ، انطلاقا من الحالة الحاضرة المعطاه ؟

كانت انطلاقة تحليل النظم على يد ايستون ، لكنها لم تات من فراغ . فقد جاءت في سياق تيار اخذ يتخذ له مسارا في العلوم الاجتماعية ، وفي علم السياسة ، من هنا نلمس المصادر الفكرية التي استند اليها ايستون في اطاره ، وهي مصادر تجد اصولها داخل علم السياسة ذاته ، في كتابات هارولد لا سويل وجورج كاتلن وشاولز مريم ، ومن خارج علم السياسة ، خصوصا تلكوت برسوتز وعلما آخرين في علوم الاجتماع والاقتصاد والاحياء وغيرها .

لا يمكن القول بنجاح ايستون في بناء نظريه كامله محكمه ، موضع قبول واتفاق عام ، بين علماء السياسة ، او الباحثين في حمل السياسة المقارنه ، لكنه نجح

في صياغة اطار نظري له اهميته ، وقوته التحليليه ، في فترة كانت كتاباته فيها تمثل فتحا جديدا في مجال البحث السياسي ، ورغم كل ما وجه الى هذا الاطار من انتقاد ، واعتراضات ، فانه قد ايقظ انتباه علماء السياسة على طرق وفتات جديده للتحليل (١٥١) ، كالمداخلات والمخرجات والتنفيذ. الراجعه ، ومفهومه عن التخصيص السلطوى للقيم ، والذي اضحى يمثل اهميه مركزيه في صياغته .

فرغم ما واجهته هذه الطرق والفتات ، واطار التحليل الجديد من انتقادات فقد فتحت الطريق امام نماذج جديده ، وامكانيات اضافيه للبحث السياسي وتمثل محاولة ايستون توفيقا ناجحا بين منهج ميكانيكي ومنهج بيولوجي ، وبين مهام "العلم الاساسي" وما تفرضه من تحليل امبيريقى ، وضرورات "العلم التطبيقي" وما تفرضه من ملامحه .

وتحتل محاولة كارل دويتش اضافته واثره ، له ابعاده وامكانياته ، في البحث السياسي ، من خلال المفاهيم والافتراضات التي صاغها في شكل جمع بين تحليلات سوسيولوجيه وبيولوجيه ، وعناصر للاتصال السياسي ، وكفاءة وانجاز النظام ، وتثريه في رؤيه للسياسه باعتبارها نوعا من التوجيه او التسيير الذاتى ، وهى تحليلات وعناصر ورؤيه تحمل ، على الاقل جزئيا ، ملامح نموذج علمى في طور التكوين (١٥٢) . وان كان الاحتمال مثل هذا النموذج في حاجه الى جهد ومثابره ، والى بحوث ومناهج اضافيه (١٥٣) .

ويقدم سبيرو تصورا خاصا للنظام السياسي في حالة توازن ديناميكي ، بين اهداف حديما في اربعة :

- ١ - الاستقرار .
- ٢ - والمرونه .
- ٣ - الكفاءه .
- ٤ - الفاعليه .

وانماط سياسيه لتنظم فرعيه صاغها في اربعة : ١ - الشرعيه . ٢ - البراجماتيه . ٣ - العنف . ٤ - الايديولوجيه (١٥٤) . والمشكلات تشكل عقبات في طريق الاهداف ، وتثور بشأنها الاختلافات ، وهى مشكلات دستوريه او اقتصاديه او سلطويه ، او



## هوامش البحث

Morton H. Davies & Vaughan A. Lewis. Models of Political Systems (١١)  
(London : Pall Mall Press, Ltd., 1971) PP.16-17 .

(١٢) انظر :

David Easton. The Political System - An Inquiry into the state  
of Political Science (New York : Alfred A. Knopf, 1953) P .97.

(١٣) يعتقد ايستون ان النظرية في علم السياسة تستخدم عادة للإشارة الى معنى  
مناقشة القيم السياسيـه او الى فلسفة علم السياسة ، وللتمييز بينها وبين المعاني  
الآخريـه يطلق عليها : نظرية القيم . انظر : Ibid.، P.52 .

(١٤) يورد بعض الباحثين توضيحا لمراحل ثلاثة مرت بها جهود ايستون ، تبدأ بكتابه  
"النظام السياسي" (١٩٥٣) وتستمر من خلال كتاباته التي تناولت "اطارا للتحليل  
السياسي" ، "وتحليل النظم في الحياه السياسيـه" (١٩٦٥) . ويعتقد ان ايستون  
قد حاول اخيرا ان يحرك نظريته نحو موقف امبيريقى بدراسته : كيف ومتى  
يبدأ تأييد الطغفل للسلطه السياسيـه ، في النظام السياسي . الامريكى خصوصا .  
راجع تفصيلات ذلك فى :-

Ronald H. Chitcote. Theoris of Comparative Politics : The  
Search for a Paradigm (Boulder, Colorado : Westview Press,  
Inc., 1981) PP.145-157 .

Ibid.، P.146. (١٥)

David Easton. The Political System-An Inquiry into the  
state of Political Sciece. Op-cit.، Passim.

Ibid.، PP. 129-134.(١٦)

Ronald H. Chilcote. op-cit.، P.147.(١٧)



David Easton. The Political System—An Inquiry into the (١٠)  
state of Political science. op-cit., p.123 .

Ibid., PP. 131–132. (١١)

Ibid., P. 133. (١٢)

Ronald H. Chilcote, op-cit., P.147. (١٣)

Robert T. Holt & John M. Richardson, Jr. "Competing (١٤)  
Paradigms in Comparative Politics". in : Robert T. Holt & John  
E. Turner (eds.) The Methodology of Comparative Research (New  
york: The Free Press, 1970) P.42.

Ibid., PP. 42–43. (١٥)

Ibid., P. 4 3 . (١٦)

Ibid., PP 4 1–42. (١٧)

Ibid., P. 42 . (١٨)

Michael G. Roskin et al. Political Science—An: المصدر (١٩)  
Introduction (Englewood Cliffs, New Jersey : Prentice– Hall,  
1988) P-22.

Ronald H. Chilcote. op-cit., P. 147 Fred M. frohock. "Systems  
Theory and Structural– Functional Analysis". in : D. M. Freeman  
(ed.) Foundation sf Political Science(New york: The free Press,  
1977) PP-588–593.

(٢٠) نشر كتابان لايستون في عام ١٩٦٥ :-

-David Easton. A Framework For Political Analysis (Englewood  
Cliffs, New Jersey : Prentice–Hall, 1965)

- David Easton. A systems Analysis of Political Life (New york:  
John wiley & Sons, Inc., 1965)

ويشير الكتابان الى تبلور مرحلة جديدة متميزة في افكاره .

(٣٠) يضيف ايستون اليها منظمة حلف شمال الاطلسنطى .

(٣١) انظر :-

Talcott Parsons. "The political Aspect of Social Structure and Process". in : David Easton (ed.) Varieties & Political Theory (Englewood cliffs, New Jersey: Prentice-Hall, Inc., 1966) PP. 71-112 esp. at PP. 96-103 .

(٣٢) لمزيد من التفصيل راجع : Ibid., PP.99-102

(٣٣) Ibid., PP.102-103

(٣٤) Ibid., P.103

(٣٥) المذمور : Ronald H. Chicote, Op.cit., P. 149

(٣٦) راجع الطبعة الثانية من كتاب :-

David A Systems Analysis & Political Life.

(New york: John Wiley & Sons, Inc., 1967).

حيث تناول هذا الكتاب فى الجزء الاول اسس التحليل النظرية PP.3-36  
وفى الجزء الثانى المدخلات المطالب PP.37-152 وفى الجزء الثالث المدخلات  
التأييد PP.153-246 وفى الجزء الرابع الاستجابة للضغوط الواقعة على النظام  
PP. 247-342

(٣٧) فاصبح اسم ايستون يرتبط عادة بمصطلح تحليل النظم . انظر :

Robert T. Holt & John M. Richardson, Jr. op. cit., P.41 .

(٣٨) انظر :-

Ronald H. Chilcote. op.cit., P.150 .

David Easton "The Current Meaning of Behavioralism in  
Political Science". in : Howard Ball & Thomas P. Lauth, Jr.  
(eds.) Changing Perspectives in Contemporary Political Analysis  
(Englewood Cliffs, New jersey: Prentice-Hall, Inc., 1971) P. 103.

Ibid., P. 102 . (٣٠)

Idem. (٣١)

W. J. M. Machenzie. Politics and Social Science(Baltimore, Maryland : Penguin Books, 1967) P. 96 .

(٣٢) انظر :

Thomas J. Lewis "Parsons' and David Easton's Analysis of The support system". Canadian Journal of Political Science. Science. Vol. vii (December 1974) PP. 672-686.

حيث يناقش الكاتب مفاهيم التأييد للنظام لدى كل من ديفيد ايستون وتلكوت برسونز ، وعلاقتها بمفاهيم المساواة والاتفاق ، على النحو الذي تتضمنه الليبرالية الكلاسيكية ، ويصل الى تلك النتيجة حيث يرى ان مفاهيم برسونز تعتبر ليبرالية ، بينما مفاهيم ايستون غير ليبرالية .

(٣٤) كذلك استند ايستون في كتاباته الى اعمال كثير من علماء الاجتماع والانثربولوجيا ، يمكن ملاحظتها في المراجع التي استندت اليها كتاباته . امثال Malinowski , Radcliffe - Brown , Merton & Levy :

William C. Mitchell - "Politics of The Allocation of Values : A Critique" Ethics. vol. LXXI No-2 (January 1961) PP.79-89 esp. at P.79 .

Ibid., P. 87 (٣٦)

Ibid., P.88 (٣٧)

Fred M. Frohock. op.cit., PP. 590-591 . (٣٨)

William C. Mitchell. op.cit., P.79. (٣٩)

Fred M. frohock. op.cit., P. 590. (٤٠)

David Easton. A Systems Analysis of Political Life op-cit., P. 14 (٤١)

Ronald H. Chilcote, op-cit., PP. 151-152 . (٤٢)

Robert T. Holt & John M. Richardson, Jr. op-cit., P. 41 , P.45 . (٤٣)

John D. Astin. "Easton I and Easton II" \_ The Western Political Quarterly vol. xxv. No.4 (December 1972) PP. 726-737. (٤٤)

ربما يجيب ايستون عن هذا السؤال راجع : (٤٥)

David Easton . The New Revolution in Political Science. The American Political Science Review. vol. LXIII. No. 4 (December 1969) PP. 1051-10610

لكن آستين يشير الى الصعوبة في هذا التوفيق بين العلم الاساسى Basic Science وضرورات الملائمة التي تفرضها حركة ما بعد السلوكية لدى ايستون

راجع : John D. Astin, Ibid., P. 737

John D. Astin, Idem. (٤٦)

Idem. (٤٧)

وذلك وفق رأى Thomas L. Thorson كما ورد في : Idem. (٤٨)

وذلك ضمن اعمال اللجنة التي شكلتها جامعة شيكاغو في الولايات المتحدة , (٤٩)

عام ١٩٥١ . من علماء في هذه العلوم . لمناقشة مشكلات منهج النظم بشكل مكثف . والجمع بين مختلف وجهات النظر في تلك العلوم المختلفة انظر :-

Ronald H. Chilcote . op-cit., P. 152.

Idem. (٥٠)

Ibid., P. 153. (٥١)

Robert T. Holt & John M. Richardson, Jr. op-cit., P.45. (٥٢)

Ibid., P. 43 . (٥٣)

Idem. (٥٤)

Ibid., PP. 43-44. (٥٥)

Ibid., P. 44. (٤٦)

Idem. (٤٧)

Idem. (٤٨)

Ibid., PP. 44-45. (٤٩)

Ibid., P.45. (٥٠)

Idem. (٥١)

Ronald H. Chilcote. op.cit., P. 157. (٥٢)

Ibid., PP. 157-158. (٥٣)

Ibid., P. 158. (٥٤)

Idem. (٥٥)

Idem. (٥٦)

Ibid., PP. 158-159. (٥٧)

William C. Mitchell "The Shape of Political Theory to come: (٥٨)

From Political; Sociology to Political Economy" in: Seymour Martin

Lipset (ed.) Politics and the Social sciences (New york : Oxford

univ. Press, 1969) P. 105 .

Ibid., P. 107 . المصدر (٥٩)

Ibid., P. 108. (٦٠)

Ibid., P. 108 . : المزيد من التفصيل راجع : (٦١)

Idem. : المصدر (٦٢)

Ronald H. Chilcote. op. cit., P. 159. (٦٣)

Idem. (٦٤)

Ibid., PP. 159-160. (٦٥)

Ibid., P. 160 . (٦٦)

John D. Astin. op.cit., P. 726 . (٦٧)

Ronald H. Chilcote op.cit., P. 160,P.161 . (٦٨)

Paul F. kress . "Self, System, and Significance : Reflections  
on Professor Easton's Political Science" Ethics. vol. LXXVII No.  
1 . (October 1966) PP. 1-13. esp. at. p. 11.

Ibid ., P.8. (٨٠)

Ibid., P.1. : انظر (٨٢)

ويحدد الكاتب مجموعتين من العناصر التحليلية التي تضمنتها كتابات  
ايستون : اولهما تتعلق بالنظام الكلي . وثانيهما تتناول الوحدات المكونة له .

لمزيد من التفصيل راجع : P.8 .

Ibid., PP. 1-2, P.12 (٨٣)

(٨٤) لمزيد من التفصيل انظر : Ibid., P.12

(٨٥) انظر مثالا لهذه المناقشة في :

Michael G. Roskin et al. op-cit., PP.21-23.

Ibid., P.23 (٨٦)

Ibid., P.24. : المصدر (٨٧)

. Ronald H. Chilcote. op-cit., P.161. (٨٨)

Idem (٨٩)

David Easton . the New Revolution in Political Science. (٩٠)

op-cit.

(٩١) راجع :

Eugene F. Miller "David Easton's Political Theory" Political

Science Reviewer vol. 1 (Fall 1971) PP. 184-235 .

حيث مراجعة تفصيلية و متممة لكتابات ايستون الرئيسية حول النظم من  
خلال مراحل : الاعداد والتكوين او البناء والتقييم ، محددا صعوبات منهج  
ايستون والمكانة النظرية التي تمثلها .

Ibid., P. 210. (١٣)

Ibid., P. 233. (١٣)

(١٤) من خلال التأمل . أكثر منه من خلال حقائق التجربة . انظر :

Ronald H. Chilcolte op-cit ., P. 161.

Ibid., P. 155. (١٥)

(١٦) انظر مثلا :

Robert T. Holt & John M. Richardson, Jr. op-cit., P. 39

حيث يعتقد هولت وريتشارو سون ان ما يقدمه دويتش يمكن ان يؤدي الى نظريه متقدمه او نموذج كامل متقدم تماما .

Ronald H. Chilcolte. -op-cit., P. 155. (١٧)

(١٨) لعل اهم كتابات كارل دويتش التي تتضمن فكرته عن النظام العصبى . وما يرتبط به من عمليات اتصال وتضخم او ضبط . واستخدامه فى علم السياسه . الكتاب الذى يحمل عنوان "اعصاب الحكومه : نماذج الضبط والاتصال السياسى" .

Karl W. Deutsch. The Nerves of Government : Models of Political Communication and control (New York : The free Press of Glencoe 1963) .

(١٩) انظر :

Peter Calvert. \*Politics, Power and Revolution-An Introduction to Comparative Politics (London : Wheatsheaf Books Ltd., 1983) P-13.

Robert T. Holt & John M. Richardson, Jr. op-cit., P. 39. (٢٠)

Karl W. Deutsch. The Nerves of Government : Models of Political Communication and control, op-cit., P. 243 .

Karl W. Dentsch. Politics and Government: How People decide Their Fate (Boston : Houghton Mifflin Co. , 1974). PP 53-15



Ibid., PP. 180-183 . (١٠٣)

Ibid., PP. 175-176. (١٠٤)

Ibid., PP. 146-148. (١٠٥)

Ibid., P. 160 . (١٠٦)

Ibid., P. 161 . (١٠٧)

Ibid., P. 162 . (١٠٨)

Ibid., P. 163 . (١٠٩)

(١١٠) وقد أشار دويتش الى ان هذه التغيرات قد تكون «نيفه ثوريه . كما قد تكون

تدرجيه اصلاحيه . راجع : Ibid., PP. 163-164

ويشبه هذا التغير بالتغير في الفرد الذي يجتاز مراحل الطفولة والشباب .

والبلوغ ما يطرا عليه من تغييرات .

Ibid., P. 165 . (١١١)

Ibid., P. 166 . (١١٢)

(١١٣) يشبه ذلك دويتش بالحاسب الالى . انظر : Ibid., P. 177.

Idem. (١١٤)

Ibid., P. 178 . (١١٥)

Ibid., P, 181. (١١٦)

Ibid. ., P. 230 . (١١٧)

Ibid., PP. 235-238. (١١٨)

Ibid., P. 249. (١١٩)

Robert T. Holt & John M. Richardson, Jr. op.cit., P. 39 . (١٢٠)

Ronald H. Chilcote. op.cit., P. 156 . (١٢١)

Robert T. Holt & John M. Richardson, Jr. op.cit., P.40 . (١٢٢)

(١٢٣) انظر : Ibid. . P. 4

وقد وجدت بعض محاولات لبلورة مجموعات من الافتراضات لعملية صنع القرار وفق نموذج سبرناتيقي ، وربطه بنموذجين أولهما معرفي أو ادراكي ، والآخر تحليلي وهما مكملان للنموذج الأول راجع :

Robert Cutler. The Cybernetic Theory Reconsidered Michigan Journal of Political Science. vol . 1 . No-2 (Fall 1981) PP. 57-63.

Robert T. Holt & John M. Richardson. Jr. Ibid., P.40. : انظر (١٢٤)

حيث يشير هولت وريتشار دسون الى ان التقديرات بشأن تحليلات دويتش قد تجعل منها ضئيلة القيمة ، او بلا قيمة حقيقية ، خصوصا وان نماذج دراسة السياسة المقارنه قد تاخذ اشكالا مختلفه تماما .

Ronald H. Chilcote. op.cit. , P. 154. : انظر (١٢٥)

Idem (١٢٦)

Herbert J. Spiro. Comparative Politics : A Comprehensive Approach . The American Political Science Review. vol . Lxi No.3 (September 1962) PP. 577-595, esp. at P. 577 .

(١٢٨) يستخدم سبيرو مصطلح Community ليمطبه على الجماعات المختلفه .  
كجماعات المصلحه ، الى جانب المجتمع ، انظر : Ibid., P. 590

Ibid., P. 577 (١٢٦)

Idem. (١٢٧)

Idem. (١٢٨)

Ibid., P. 578 . (١٢٢)

Ibid., P. 579. (١٢٣)

Ibid., P.580 . : المصدر (١٢٤)

(١٢٥) للمزيد من التفصيل حول هذه الانتقادات راجع : Ibid., PP. 589-590  
وقد حاول سبيرو الرد على بعضها مسبقا ، فمعيار النظام السياسي في رايه هو "مجتمع به عملية قضايا" بغض النظر عن نمط هذا المجتمع ، وبنض

النظر عن الفشل او النجاح في محاولة حل مشاكله . اما الفناء دور المؤسسات  
فاشار الى ان هذا الالفاء مقصود ، لتجنب المقارنه الشكليه ، والمطلوبه ، مثلا  
بين الكونجرس الامريكى والبرلمان السويسرى .

Ronald H. Chicote - op. cit., P. 155 . (١٣٦)

انظر : (١٣٧)

Morton A. Kaplan - System and Process in International Politics

(New york : John Wiley and sons, 1957) -

والذى يعتبر جهدا رائدا لتطبيق نظريه النظم على فراسه السياسه الدوليه .

Ronald H. Chilcote - op.cit., P. 156 . (١٣٨)

Morton A. Kaplan - System and Process in International

Politics. op.cit., P. 4.

Idem. (١٤٠)

(١٤١) عن التوازن التوازن الديناميكى فى مفهوم كابن انظر : - 8-6 PP. Ibid.

(١٤٢) يعالجها فى الفصل السادس من كتابه : - 21-52 PP. Ibid.

(١٤٣) Ibid., P.4, P.85.

(١٤٤) لمزيد من التفصيل حول انماط التوازن ، فقد يكون مستقر او توازن سكونى  
ستاتيكي او توازن غير مستقر راجع :

Morton A. Kaplan - Macropolitics - Selected Essays on the

Philosophy and Science of Politics (Chicago : Aldine publishing

Co., 1969). PP. 58-62.

(١٤٥) انظر : - 156-157 PP. Ronald H. Chilcote. op.cit.

(١٤٦) Ibid., P. 157.

(١٤٧) اشار مورتن كابن ، وديفيد سنجر الى الحاجه الى مزيد من الجهود ،  
والنظريات ، ونماذج التحليل فى العلاقات الدوليه . راجع :-

- Morton A. Kaplan. Problems of Theory Building and Theory

Confirmation in International Politics. World Politics vol. XIV No.

1 (October 1961) PP. 6-24 esp. at P. 6, P.9.

- J. David Singer. the Level-of- Analysis Problem in International Relations World Politics vol. XIV No. 1 (October, 1961) PP. 77-92. esp. at PP. 78-80.

يشير بعض الدراسات الى اهمية التشابه بين المجتمعات البدائية ، والتي لديها نظام سياسي . كتلك التي يمثلها النظام السياسي الدولي . انظر :

Rorer D. Masters. World Politics as A Primitive Political System. World Politics. vol. XVI. No. 4 (July 1964) PP. 595-619 esp. at P. 597.

فيوضح الكاتب بعض اوجه الشبه ، كغياب الحكومه الرسميه التي لها قوة العقاب وتطبيق القانون ، والاستخدام الذاتي للعنف من قبل اعضاء النظام لفرض الالتزامات وتحقيق اهدافهم ، واستخدام الوحدات السياسيه لتلبية وظائف عديده في النظام الاجتماعي الطام .

Amitai Etzioni. "Toward A Macrosociology : Elements of a Theory of Societal and Political Processes. in : D.M. Freeman (ed.) op. cit., PP. 607-641 . esp. at P.621 .

Anatol Rapoport. "Some System Approaches to Political Theory ". in : David Easton (ed.) Varieties of Political Theory op. cit., P. 129

Ibid., P. 130 . (١٤٠)

Ronald H. Chilcote. op. cit., P. 157 . (١٤١)

Robert T. Holt & John M. Richardson, Jr. op. cit., P. 39. (١٤٢)

Ibid., P. 40 . (١٤٣)

Herbert J. Spiro. op. cit., PP. 578-579. (١٤٤)

Ronald H. Chilcote. op. cit., PP. 156-157. (١٤٥)